مِنْهاج مُحاسَبة النّفس

﴿ مُدارَسة روحانيّة في ضوء الكتاب والسُّنة ﴾

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٢/٢/٧٠٩)

٢١١

السعودي، أحمد عطية

منهاج محاسبة النفس : مدارسة روحانية في ضوء الكتاب والسنة / أحمد عطية السعودي ._ عمان: دار المأمون، ٢٠١٢.

(١٦٨) ص

ر.أ: (٧٠٩/ ٢/ ٢٠١٢).

الواصفات: / الثقافة الإسلامية/ / الوعظ ولإرشاد/ / الإسلام /

❖ أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E- mail: daralmamoun@maktoob.com

مِنْهاج مُحاسَبة النّفس

﴿ مُدارَسة روحانيّة في ضوء الكتاب والسُّنة ﴾

- منهج عمليّ في تزكية النفس
- سِجل تربويّ مُنظّم لحياة المسلم
- دليل قويم للدُّعاة والعابدين المجتهدين
- مدخل إلى سعادة الدّارين: الدّنيا والآخرة

بقلم

د. أحمد عطية السُّعودي

المأمون

دار المأمون للنّشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاح

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾

[الحشر: ١٨ – ٢٠]

تقديم

بقلم: أ. د. أحمد نوفل
كلية الشّريعة- الجامعة الأردنيّة

الحمدُ لله والصّلاة والسّلام على رسولِ الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فما أحوجَنا إلى التذكُّر والتذكير، وإقامةِ النّكير على النفس، بعد أنْ خُضنا في مُستنقع العيش والشّهوة، فتلوّثتْ لا أقولُ الأقدام، وإنّما مجمل النفس والكينونة، فعادتْ تحتاجُ إلى تطهير وغَسيل، وانحطّتْ فعادتْ تحتاجُ إلى رفع إلى أعلى عليين، وإلا انتكستْ إلى أسفل سافلين، ورجَعتْ إلى حمأة الوَحْل والطّين.

لقد قسَت القلوب، وجفَّت العيون، وابتعدتْ بنا السُّبل، وفسدَت المودّات، وانتكسَت الاهتمامات، واختفَت المجاهدات، أو كادتْ، وكلُّنا غرقَ في بحر السّياسة، وافتنَّ بها وافتتن، وما جرَّ ذلك إلا مزيداً من الآفات، وما انصلحَ شيء!

لكلّ ذلك، ما كان أحوجَنا إلى واحةِ أمنٍ وأمان، نتنفّسُ فيها الهواءَ النّقي، ونعاودُ فيها الحنينَ إلى المنازل، ونبكي على ما فات.

ما كان أشدَّ حاجتنا إلى نماذج من الرِّجال الرِّجال والمجاهدين الأبطال الذين ينتصرون في ميدان النفس؛ ليكونوا مؤهّلين لنصر الله في سائر الميادين، ومَنْ لم يخض في مخاضات مجاهدة النفس، فكيف سيخوضُ في بحور مقارعة الباطل؟

من هنا فقد جاءَ هذا الكتاب على حاجةٍ وعلى شوق؛ ليسدَّ بإذن الله فراغاً مُفزعاً موجوداً، وليملأ نقصاً، ويسدَّ حاجةً وعَوَزاً وثغرات.

ويكتسب الموضوعُ أهميةً إذا رأينا الإعراض عنه، وقلّةَ الكاتبين فيه، على مَسيس الحاجة، وشديد الافتقار.

ولقد كنتُ أقرأُ فيه، ونسائمُ من عطرِ أصحاب الرّياضات والمجاهـدات تـنعشُ الأجواء، وترطّبُ القلوب، وتليّنُ الجاسي، وتذكّر الناسي.

لقد كانت النماذج الإيمانيـة الـتي احتشـدتْ في الكتـاب جيشـاً يطـاردُ الثّقـل والغفلة والرُّكون، ويحرّض الهمّة والعزم والـيقين، ويُـنعش الخـواطر، ويُـذكي نـارَ الشَّوق والإرادة.

وإنَّ للقوم أحوالاً، وإنَّ لهم لمواصفاتٍ ومواضعات وعبارات كأنّمـا انتُزعـتْ من أنفاس النبوّة، واقتُبستْ من أرواح المرسلين.

إنّهم يغترفون من مَعين سَلْسَل، ويمتحـون مـن نبـع صـافٍ لم تكـدّره حظـوظُ النفس، ولم تَشُبْهُ أوحالُ الشّهوات، أو ثقلةُ الرّكون إلى الأرض والملذّات المنسيات.

فالكتاب بهذه النمـاذج الثَّـرة حديقـةٌ مُزدانـة، فينانـةٌ ريّانـة، فوّاحـةٌ ريحانـة، وبكلمات القوم: مُرصّع مُزيّن كَعِقْدٍ حبّاتُه لا أغلـى ولا أجمـل، وكيـف وكلمـاتُهم ليست عبارات، وإنّما قِطَعُ قلوب، ومُهـجُ أنفـس، وأكبـادٌ تتلظـى، ورياضـةٌ ترفـعُ أصحابها إلى رياض وجِنان، فيرون ما لا نرى، ويتذوّقون ما لا نتذوّق، ويعرفون ما لا نعرف، فيصفون لنا من عالمهم ما يشـدّنا ويشـوّقنا؛ علَّنـا نلحـقُ بـالقوم، ونتّبـع آثارهم.

نسأل الله أنْ يباركَ جهدَ صاحبِ الكتاب، وجامعِ هذه الجواهر مـن العُبـاب، فلقد نفعنا، وأمتعنا، وأسمعنا من الأطايب ما يلذُّ الأعين، ويطربُ القلوب، ويرفـعُ الأرواح.

تقديم

بقلم: أ. سعيد يوسف عبد الواحد

يُعدّ التخطيط والتنظيم والمراقبة من العناصر الأساسية للعملية الإدارية في مجال التجارة والحكم وإدارة شؤون الحياة، ولكنّ هذه العناصر لازمة أيضاً للمؤمن الفَطِن الذي يعملُ لما بعد الموت؛ ليقطف الثمار الطيبة، والحصاد الوفير من إعمار الأرض بالعبادة الحقّة، والخلافة الرَّاشدة.

والخطّة المُحْكَمة الدقيقة ميسّرةٌ من خلال القرآن الكريم والسُّنة النبوية، ولكنَّها تحتاجُ إلى التذكرة والتوبة المستمرة على منهاج الذين ﴿يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾.

ولا بدَّ للمسلم العاقل في هذا العصر الماديّ الذي انشغل الناس فيه بالهوى والشّهوات ومطالب الدُّنيا، وعزفَ أكثرُهم عن الآخرة، وحاسبوا أنفسَهم على نقصان الدّرهم والدينار.

لا بدَّ للعاقل أنْ يلومَ نفسه، ويحاسبها على التقصير والخطأ، ويوازن بين نصيبه في الدُّنيا وعاقبة أمره في الآخرة، آخذاً بالنصيحة في قول الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾.

ولقد حاول المؤلّفُ في هذا الكتاب لفتَ نظر المؤمنين والمؤمنات شباباً وشابات، رجالاً ونساء إلى حقيقة هذا العصر الماديّ ومشاغله ومداخل الشّيطان فيه.

حاول أنْ يلفتَ نظرهم؛ ليتجنّبوا عبادةَ الهوى والمناصب حتى تَحْسُن الخاتمة، ويتحقّق الخلود في جنات عَدْن التي وعد الله عباده المخلصين.

هذا السِّفر فيه إسفارٌ عن حقيقة الإنسـان ووظيفتـه، وكيفيـة معالجـة انحـراف نفسه، وذلك بأسلوب سهل، وعرض مُشوّق.

وسيجد القارئ الكريم الدّليلَ الصَّحيح من القران الكريم والسُّنة النبوية على ما يُعْرَضُ ويُذْكَر من توجيهات، وأخلاق، وآداب، وأساليب معالجة.

ثم سيجد القارئ في هذا الكتـاب عُصـارةَ التربيـة مـن خـلال هـدي القـرآن الكريم، والسُّنة النبوية، وسيرة الصّحابة والصَّالحين، ومَسْلك العلماء والمربّين.

سيجد ما يكفي؛ ليكون تبصرةً وذكـرى للعابـدين لإحسـان الإيمـان، وإتقـان العمل.

وهذا الكتاب يشتمل على العلم الحقيقيّ الذي يلزم لكلّ إنسان يريدُ الآخـرة ويسعى لها،

فهو ينفع الطلبة في المدارس والكليّات والجامعات، وينفـع التـاجر، والسّـائق، والوزير، والحاكم، ويستفيد منه الرِّجال والنساء على السّواء، ويلـزم لكـلّ مكتبـة، ومَرْكز علم.

وهذا الكتاب أنيس الجليس، وشجرة ثمرُها الخير والهدى، نرجو الله أنْ يكون منارَ هداية للسائرين على درب الآخرة من الدُّعاة العاملين.

المقدّمة

أحمدُ الله الذي خلقَ الموت والحياة للابتلاء والجزاء، وشرّف عباده بخطابه وندائه، وأوجبَ على أنفسِهم في آي الذّكر الحكيم أنْ تنظرَ ما قدّمتْ لغد، قبل أنْ تقولَ يا ليتني قدّمتُ لحياتي، وتندمَ وتتحسّر، ولاتَ ساعةَ مَنْدم.

وأصلّي وأسلّم على السِّراج المنير محمّد ﷺ الذي أحكمَ سلطانه على نفسِه حتى غدَت المثلَ الأعلى للبشرية في حُسن الخلق، ومرضاة الرَّبّ، وتربية الصّحب.

وأصلّي وأسلّم على آلهِ الأطهار، وأصحابه الأبرار، وبعد؛

فإنّي لَمَّا رأيتُ أنَّ كثيراً من الناس قد هانَتْ عليهم حياتُهم في هذا العصر، فلم يضبطوها بحسابٍ ولا كتاب، بل حاسبوا أنفسَهم على حُطام الدُّنيا الزائلة، وجَدُّوا في طلبها واجتهدوا، وراموا العيشَ الرَّغيد، والغنى الفاحش، والمناصب الرّفيعة، وآثروا الحياةَ الفانية على الآخرة الباقية، وعمروها بالأماني العِذاب، واستكثروا فيها ممّا لذَّ وطاب، وظنّوا أنْ ليس لهم إلى ربِّهم مآب، ونسوا يومَ الحساب.

لَمَّا رأيتُ ذلك كلَّهُ رجعتُ إلى كتاب الله الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديهِ ولا من خَلْفِهِ، فوجدتُ فيه أمراً ربانيّاً بوجوب محاسبة النفس، وهو قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾.

فالآية تنصُّ صراحة على وجوب إعداد الزَّاد ليوم المعاد، حتى لا تنحدر هذه النفس، وتصير إلى ما صار إليه الذين أهمّتْهم أنفسُهم، واقتربَ لهم حسابُهم، وهم في غفلة مُعرضون، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، وضلَّ سعيهم، وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صُنْعاً.

ووجدتُ أنَّه يجبُ على المؤمن الكيّس أنْ يجعلَ محاسبةَ نفسه من أوجب الواجبات عليه، فلا يغفلُ عنها، ولا يتشاغل، ولا يتساهل، وأنَّ عليه أنْ يحاسبَ

نفسه على علمِه وعملِه، ومتاعِه ومالِه، وعُمره وجسمِه، وعلى كلّ صغيرة وكبيرة قبلَ أنْ يُناقش الحساب، ويُعْرَض على الله، فلا تخفى منه خافية.

ورأيتُ أنْ أضعَ كتاباً في هذا الباب تذكرةً لأولي الألباب، فاطّلعتُ على كُتب التراث التي تبحث في تزكية النفس ومحاسبتها، فأكبرتُ جهودَ أصحابها، واستغفرتُ لهم، وترحّمتُ عليهم، ولكنّني وجدتُ أنَّها في معظمِها تقتصرُ على جوانب جزئية في المحاسبة لا تتجاوز الدّعوة إلى التمسّك بالفضائل، والتحذير من المعاصي، وذلك دون تفصيل بيّن، ولا إحاطة جامعة، ولا تنظيم حَسَن.

ووجدتُ أنّها تَحْفِلُ بموضوعات هي محلّ خلاف واختلاف، ينكرُها بعضُهم، ويحسّنها آخرون، كما تشتملُ على طائفة من الأحاديث الضَّعيفة والموضوعة، ويختلطُ فيها الغثّ بالحسَن، والشّفاءُ الصَّحيح بالدَّاء القاتل، ناهيكَ عن التطويل والتعقيد، والإطناب والإسهاب.

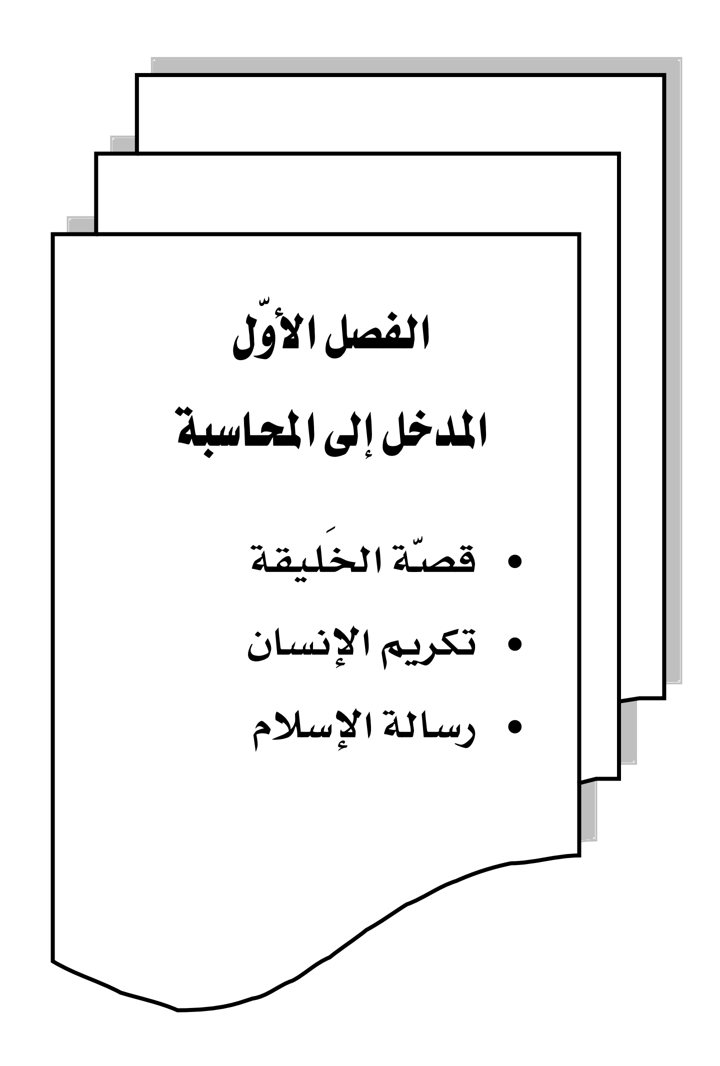
ويأتي هذا الكتاب بفضل الله وعونه منهجاً عمليّاً متكاملاً في تربية النفس وإصلاحها، ودليلاً قويماً في أساليب المحاسبة وفقَ هدي الكتاب والسُّنة.

وقد توخيتُ فيه أنْ يكون هادياً للنفس يخلّصها من آفاتها، ويسمو بها إلى أعلى درجات الطُّهر والإخبات، ويخليها عن الرّذائل، ويحلّيها بالفضائل.

وصغتُ الكتاب بلغةٍ سهلة مأنوسة، ويسّرتُ تناوله، وزوّدته بالجداول التي تعينُ على الفهم والتثبّت، وجعلتُه مُؤلّفاً من مقدّمة وثلاثة فصول وخاتمة.

هذا، وأدعو الله ﷻ أنْ يتقبّلَ منيّ هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأنْ ينفعَني به في حياتي ومماتي وآخرتي، وينفعَ به قارئه الكريم، والمسلمين أجمعين، ويُعْظِمَ الأجرَ والثواب لوالديّ الكريمين اللذين علّماني نُطْقَ الحرف، وربّياني صغيراً.

أحمد عطية السّعوديّ
١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م



الفصل الأوّل

المدخل إلى المحاسبة

- قصّة الخَليقة
- تكريم الإنسان
- رسالة الإسلام



الفصل الأول: المدخل إلى المحاسبة

قصّة الخَليقة والاستخلاف في الأرض

شاءَ الله ﷻ أنْ يخلقَ السّمواتِ والأرض، ويخلقَ الملائكةَ والجِنّ والبشر، وشاءَ بحكمته وقدرته أنْ يجعلَ في الأرض خليفةً يقومُ فيها بالعَدْل، ويعمرُها على هَدي الله وصراطه المستقيم، وعرضَ الأمرَ على الملائكة فعجبوا أيّما عَجب، وتساءلوا تساؤلَ استعلامٍ عن الحكمة، لا تساؤلَ اعتراضٍ على المشيئة:

- كيف تجعلُ في الأرض مَنْ يعصيك فيها بالإفساد وسَفْك الدّماء، وأنت أهلٌ للطاعة والإجلال والتقديس، ونحن نسبّح بحمدك، ونقدّس لك، ونعظّم أمرَك، ونطهّر ذِكْرَك؟!

﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

ولكنَّ الله ﷻ علّم آدم أسماء لم تعرفها الملائكة؛ ليعرفوا فضله ومكانته، وقُصور علمِهم، وليعلموا أنَّ الله ﷻ يفعل ما يشاء، ويعلم ما في أنفسهم، ويعلم غيب السّموات والأرض: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٣].

ودعا الله ﷻ الملائكة، وأمرهم بأنْ يسجدوا لآدم سجودَ تحيةٍ وتكريم، لا سجودَ عبادةٍ وتقديس، فامتثلوا أمر الله وأطاعوه، وسجدوا لآدم تقديراً وتشريفاً.

ولم يتخلّف أحدٌ عن السُّجود إلا إبليس، فإنّه أُصيبَ بالكِبْر والعُجب، فأبى أنْ يسجد لمخلوق من طين، واستقبح تنفيذَ الأمر الإلهيّ، فعصى ولجَّ في التمادي، فاستحقَّ بذلك غضب الله عليه ولعنته وسخطه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [ص: ٧١ - ٧٤].

ويحدّثنا القرآن الكريم عن المناظرة الكبرى التي جرَتْ بين ربّ العالمين وإبليس اللعين بعد أنْ رفض أنْ يسجد لآدم مغترّاً بنفسه وعُنصره، ومحتجّاً بأنَّ النار أشرفُ من الطين، وبأنّه خير من آدم وأعظم شاناً، فكيف يسجد لطين حقير في زعمه؟!

وتناسى اللعينُ أنَّ الله ﷻ خلقَ آدمَ من هذا الطين بيده، ونفخَ فيه من روحه، وكرّمه بهذا الخَلْق، فكان أنْ طرده الله ﷻ من رحمته، وأمهله إلى يوم الدين، وجعل مصيره إلى النار هو ومَن اتبعه، فتوعّد إبليسُ بني آدم أنْ يفتنهم، ويوسوس لهم، ويزيّن لهم أعمالهم، ويأتيهم من كلّ الجهات، ويكيد لهم كيداً عظيماً: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٧٥ - ٨٥].

وكرم الله ﷻ آدم، وأدخله وزوجه الجنّة، ينعمان فيها، ويأكلان من خيراتها ما يشتهيان، وحذّرهما من فتنة إبليس وكيده ووسوسته، ونهاهما أنْ يقربا شجرةً محرّمة في الجنة: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] .

ولكن إبليس اللعين زيّن لهما الأكل من هذه الشجرة، وأقسم لهما بالله أنّه لهما ناصح أمين، وأنّه يريد لهما أنْ يكونا مَلَكين من الخالدين إذا اتبعا أمره، وزعم لهما أنّه يعلم ذلك، وأنّه لا يحسدهما، ولا يعاديهما، وعلامَ الحسد والعداوة؟!

فما كان من آدم وزوجه إلا أنْ أكلا من الشجرة، وخالفا أمر الله ﷻ، واتّبعا كيد إبليس، فغويا، وبدتْ لهما عوراتهما، واستحييا مما صنعا، وندما ندماً شديداً على اتباع الشيطان، وعصيان أمر الله تعالى، والتفريط بنعيم الجنة، فتضرعا إلى الله ليغفر لهما، ويرحمهما، فتابَ الله عليهما، إنّه هو التواب الرّحيم: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٦ - ٣٧].

وأمر الله ﷻ آدمَ وحواء وإبليس أنْ يهبطوا من الجنّة، لتبدأ مرحلة الاستخلاف في الأرض، والصّراع بين الحقّ والباطل، والخير والشرّ، والفضيلة والرّذيلة.

وأنذرهم بأنّه ﷻ سيبعث لهم الرّسل، وينزّل عليهم الكتب، فمَنْ آمن وأطاع فقد رشدَ وسَعِد، ومَنْ كفرَ وجَحَد فقد شقيَ وغوَى، وبيّن لهم أنّه سيحاسبُهم على حياتهم وأعمالهم يوم القيامة يومَ تُوفّى كلّ نفس ما عملت: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٨ - ٣٩].

وهكذا قدّر الله جلَّ ثناؤه، وتقديرُه الحقّ، أنْ يكون الإنسان خليفةً له في الأرض، يعمرُها، ويصلحُها، ويعبد ربَّهُ فيها، وذلك وفق منهج ربّاني لا تتأتّى عماراتُها الصحيحة إلا بالسير على نهجه، والاقتداء بهديه، والامتثال لأمره، والاحتكام إليه.

وهيَّأ الله ﷻ للإنسان في الأرض مستقراً ومتاعاً إلى حين، وسخّر له ما في السّموات وما في الأرض، من نجوم وكواكب، وبحار وأنهار، وجبال وسهول، وأودية وقِفار، ونبات وحيوان، وليل ونهار، وهواء وغذاء، وآتاه من كلّ ما سأله: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

وزوّده بالفطرة الناصعة، وأمده بالعلم والمعرفة، وأكرمه بالاختيار والإرادة، وأنعم عليه بالعقل والتفكير، ومنحه القدرة على الإعمار والإصلاح، ومواجهة الأعداء، ومصارعة الشّيطان، واستخلفه ليبلوه ويحاسبه يوم القيامة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وقد بين الله ﷻ أنَّ خلافة الإنسان في الأرض مستمرة إلى يوم القيامة، وأنّه أهلكَ قروناً وأجيالاً بسبب كفرهم وظلمهم، وجعل غيرهم خلائفَ في الأرض من بعدهم، كما جعلنا نحن أبناء هذا الزمان المعاصر مُستخلفين فوق هذه الكرة الأرضية؛ لينظر كيف نعمل، ويحاسبنا على أعمالنا وأفعالنا بعد أنْ بيّن لنا آياته السّاطعة في كونه المنظور وكتابه المسطور: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ

﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٣ - ١٤].

فما علينا أنْ نفعل لنحقّق الاستخلاف في الأرض؟

١- أنْ نؤمن بوحدانية الله إيماناً لا ريبَ فيه، ونقرّ برسالة نبيّه محمّد ﷺ.

٢- أنْ نَحْكم بشرعه، ونتّبع هُداه، ونعبده حقّ العبادة.

٣- أنْ نعمر الأرض بالعلم النافع، والكسب الحلال، والسَّعي في مناكبها.

٤- أنْ نوثّق عُرى التعارف والتعاون بيننا وبين الناس.

٥- أن نقيم ميزان العَدْل والحرية والمساواة في عائلاتنا، ومجتمعاتنا، وعالمنا، فندفع الظلم، ونحارب الفساد، ونكافح الجريمة.

وإذا حقّقنا هذا الاستخلاف في الأرض فما لنا؟

١- نفوز بمرضاة ربّنا جلّ ثناؤه، وتلك هي الغاية السَّامية التي نسعى إليها.

٢- نتشرّف بالسير على منهج الأوائل المصلحين الذين استخلفهم ربّنا سبحانه.

٣- يمكّن الله لنا ديننا الحنيف الذي رضيه وأكمله، وجعله أعظمَ دين.

٤- تكون لنا السيادة والرّيادة في الأرض، وتعلو رايتُنا فوق كُلّ راية.

٥- نحظى برعاية الله وتأييده ونصره، فلا يغلبنا عدوّ، ولا يقهرنا ظالم مُستبدّ.

واقرأوا إن شئتم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

تكريم الإنسان

احتفى الخالقُ ﷻ بالإنسان المخلوق أيّما احتفاء، فأكرمه وميّزه من سائر المخلوقات، وجعله متفرّداً في تكوينه وتركيبه وتكليفه، وجعل خَلْقَه جِبلّةً من الرُّوح والعقل والجسد.

وجعل الله ﷻ هذا الكيانَ الإنساني وحدةً واحدةً يرتبطُ ارتباطا وثيقاً، ويمتزج امتزاجاً عجيباً، وألهمه الاستعدادَ الفطري لعبادة ربّه، والقيام بمسؤولية الخلافة، وكرّمه وشرّفه ورزقه، وسخّر له ما في السّموات والأرض، وفضّله على كثير من الخَلْق: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ومظاهر هذا التكريم كثيرة لا تحصى، عظيمة لا تُوصف، ذلك لما فيها من لطائف التدبير، ودقائق التقدير، وبدائع الخلق والتكوين، وعجائب الإحكام والإنشاء، وروائع الجَمال والجلال.

ومن مظاهر ذلك التكريم:

١ - خَلْقُه في أجمل صورة، وأحسن تقويم:

فقد جعل الله البارئُ من الطين بشراً مُدركاً مُفكّراً، سميعاً بصيراً، وخلقَ له زوجه، وجعله متناسلاً، وجعل نسله من ماء مهين، وخلقه في أطوار عجيبة من غير حول له ولا قوة: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

وخلقَ له الأعضاء والحواس، والوجه والرأس، وجعل له الأجهزة الكثيرة التي تعمل في تناسق وانتظام، وخلقه قائماً، مُنتصباً، مُعتدلاً، غير مَكْبوب على وجهه، ولا مُلقى على ظهره؛ ليباشر أعماله بيديه وجوارحه، وجعلَ حياته في مراحل متعاقبة من طفولة، وشباب، وكهولة، وشيخوخة، وفترات ضعف وقوة، وجعل له أجلاً مسمّى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر: ٦٧].

٢- تكريمه بالعقل:

العقلُ أشرف ما في الإنسان، وهو مَعْدن الحكمة، ومناط الأمر والنهي، وهو الذي يضبطُ الجوارح، ويقودُ الجسم، ويمدُّه بالإحساس والحيوية، ويعينُه على التمييز بين النفع والضرر، والتفريق بين الحسَن والخبيث، وإدراك ما لا يُدرك بالبصر: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

٣- تكريمه بِملَكة العلم:

أنعم الله ﷻ على الإنسان بِملَكة العلم، وعلّمه القدرة على معرفة الأشياء والحقائق، وفهم الأسرار والدّقائق، وجَلْب المنافع والمصالح، واستخراج ما في الأرض من كنوز وذخائر، واستكشاف مجاهيلها وخفاياها، واستنباط سُننها وقوانينها: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ - ٥].

٤- تكريمه بِمَلَكة البيان:

كرّم الله ﷻ الإنسانَ بِمَلَكة البيان؛ ليميّزه من الحيوانات العجماء، وليعبّر الإنسانُ بالبيان عما في ضميره، ويَفْهمَ عن غيره ما في نفسه، ويُخْرج به المعاني في ألفاظ حسنة رائقة، وتراكيب منسجمة متوازنة، وأفكار منظّمة متّسقة.

وجعل الله الحكيمُ من هذا البيان وهذه اللغة وسيلةً للإدراك والتفكير، والاتصال والتواصل، والإقناع والتأثير، والإعراب عن المشاعر والأحاسيس، والإفصاح عما يعتملُ في الفؤاد من خلجات وسَوانح، وخواطر وفواتح: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ - ٤].

٥- تكريمه بالإرادة والاختيار:

كرّم الله ﷻ الإنسانَ بما أودع فيه من الإرادة والاختيار، والاستعداد للعبادة، واكتساب الخير والشر، والقدرة على توجيه الجوارح، والتحكّم بالأقوال والأفعال، وتقبّل الخُلُق القويم، أو الخُلُق الذميم، وفعل الخيرات أو المنكرات:﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢ - ٣].

فكيف يؤدّي الإنسانُ حقَّ هذا التكريم الإلهيّ العظيم؟

١- من واجب الإنسان المكرّم بالخَلْق القويم أنْ يشكرَ خالقه جلّ ثناؤه على نعمة خَلْقه، ويحمدَهُ على عطائه الجزيل، وفضله الوفير، ويديمَ ذكره، ويعرفَ قَدْره.

٢- من واجب الإنسان المكرّم بالخَلْق القويم أنْ يحافظ على خَلْقه السَّوي، فلا يشوّه صورته، ولا يُفسد جوارحه، ولا يُعرّض جسمه للتهلكة.

٣- من واجب الإنسان المكرّم بالعقل والعلم أنْ يدرك وجود بارئـه، ويسـخّر علمه في معرفة ربّه، والاهتداء إليه، ونيل مرضاته.

٤- من واجب الإنسان المكرّم بالبيان أنْ يسخّر بيانه في صيانة لسـانه وجَنانـه، وفي الوقوف على أسرار كتاب ربّه، وتذوّق جمال بلاغته وإعجازه.

٥- من واجب الإنسان المكـرّم بـالإرادة والاختيـار أنْ يختـار طريـق الإيمـان، ويتّبع سبيلَ الحقّ، ويوجّه إرادته وطاقته إلى الخير والفضيلة.

رسالة الإسلام

لمّا خلقَ الله ﷻ السَّموات والأرض والجبال عرضَ عليهنّ الأمانة، ولكنهنّ أبينَ أنْ يحملْنها، وأشفقْنَ من حملها خوفاً من تبعتها، وتعظيماً لها، وخشيةَ ثقلها وشدّتها، وعلى الرّغم من ذلك فقد حملها الإنسان، واستعدّ لتحمّل مسؤوليتها، وأعلنَ عزمه على القيام بها، فجعلَ الله ﷻ الثوابَ لِمَنْ أدّاها والتزم بها، والعقابَ لِمَنْ خانها، ورغبَ عنها: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ورسالة الإسلام هي التي تحقّقُ هذه الأمانة التي حملها الإنسان، وتصلُ العبد بربّه، إذ الإسلام استسلام، وإذعان تامّ، وانقياد لله تعالى، وهو دعوة الأنبياء والمرسلين من لَدُنْ آدم عليه السلام إلى محمّد ﷺ.

فنوح عليه السلام يدعو قومه إلى الإسلام، ويعلن فيهم: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢].

وإبراهيم عليه السلام يأمره ربّه بأنْ يسلم وجهه، فيسلم ويطمئن قلبه بالإسلام: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٣١].

ويوسف عليه السلام يدعو ربّه بأن يتوفّاه مسلماً، ويلحقه بالصالحين: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].

وموسى عليه السلام يدعو قومه إلى الثبات على الإيمان، والتوكّل على الله؛ لأنّ ذلك من صفات المسلمين حقّاً: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ

تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤].

وعيسى عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله، واتباع صراطه المستقيم، فيؤمن معه الحواريون، ويعلنون إسلامهم لله: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

ومحمّد ﷺ يأتي برسالة الإسلام المكمّلة للرسالات السَّماوية السابقة، ويُوحى إليه كما يُوحى إلى الرّسل من قبله؛ لينذر الناس ويبشّرهم، ويعلن لهم أنّه رسول الله إليهم جميعاً: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فلا رسالةَ بعد رسالة الإسلام، ولا دينَ بعد دين الحقّ، فكلّ مذهب باطل، وكلّ عقيدة فاسدة إلا هذا الدِّين: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ذلك لأنّ الإسلام هو الدّين الوحيد الذي يجيب عن أسئلة الإنسان التي تشغل فكره إجابةً صحيحة كاملة:

- مَنْ أنا؟
- ولِمَ خلقتُ؟
- وكيف أعيش؟

- وإلى أين المصير؟

قواعد الإسلام الكبرى:

وهو دين الحقّ لأنَّ رسالته هي التي أرست القواعد الكبرى، وجعلتها منهجاً للحياة والحضارة، وسبيلاً إلى السَّعادة والرِّيادة، ومن هذه القواعد:

١- قاعدة التوحيد:

يقوم التوحيد على أنَّ الله واحدٌ أحد، وأنّه لم يلدْ ولم يُولد، وليس له مثيلٌ ولا نِدّ، وأنّه الخالقُ لكلّ شيء، ولم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً، وأنَّ له الأسماء الحسنى، وأنَّ له التوحيد المطلق في الذّات والصّفات، وأنَّ الدّخول في الإسلام لا يكونُ إلا بشهادة: "لا إله إلا الله، محمّد رسول الله"، وأنَّ هذه الشهادة تقتضي الإيمان بالله وحده لا شريك له، والتوجّه إليه بالعبادة وحده، والانقياد له في كلّ ما يأمر، والإخلاص له في السرّ والعلن، كما تقتضي الإيمان برسوله محمّد ﷺ، وإطاعته والاقتداء بسنته، والعمل بهديه.

٢- قاعدة إقامة شعائر الدِّين:

وتقوم على الاجتهاد في العبادة، والمحافظة على الأركان:

- إقام الصلاة، والمحافظة عليها؛ لأنها عماد الدين، وأساسه المتين.
- إيتاء الزكاة تزكيةً للنفوس، وتطهيراً لها، وتنمية للأموال.
- صوم رمضان إيماناً واحتساباً، وجُنّة وحصناً من النار.
- حجّ البيت حجّاً مبروراً لا رَفَثَ فيه ولا فسوق ولا جدال.

٣- قاعدة التحلّي بالخلق الكريم والسُّلوك القويم:

وذلك بالتمسك بالأخلاق الفاضلة، والخِصال الحميدة، والآداب الطيبة، وأداء الحقوق، وفعل الخيرات، ورعاية ذوي القربى والمحرومين من الناس.

٤- قاعدة تحرير العقل:

تحريره من الخرافات والأوهام، ومن عبادة المخلوقات والأصنام، ودفعه إلى التأمّل في مخلوقات الله، والتفكّر في آياته، والانسلاخ من الجهل والظلام، والبحث عن الحقيقة.

٥- قاعدة طلب العلم:

وطلب العلم يكون بالسّعي إلى الحصول عليه، وإجلال أهله، والمشي إليهم، وخدمتهم، والتّأدّب معهم، والحرص على طلب علم الدِّين والدُّنيا، وحفظه ونشره والعمل به.

ومن أنفع العلم التفقّهُ في الدِّين، واستنباط الأحكام، واستشارة ذوي العقول والألباب.

٦- قاعدة إنصاف المرأة:

فالمرأة مخلوقٌ مكرّم، أنصفها الإسلام وأعزّها، وأعطاها حقّها في العلم، والعمل، والمال، والتملّك، والعبادة، والدّعوة، وحرّرها من ظلمات الجاهلية، وأخرجها إلى النور بعد أنْ كانت سلعة تُباع وتُشترى، ومتاعاً يُهان ولا يُصان.

٧- قاعدة العدالة الاجتماعية:

فالناسُ في الإسلام سواسية كأسنان المشط، ومجتمعهم يسوده التآخي والتراحم، والتعاطف والتكاتف، ويعمّه التعاون، ويتّسم بمساعدة المحتاج، ومساندة المتضرّر، ولا يأخذ أحدُهم حقّ غيره، ولا يظلمُه، ولا يجورُ عليه، فكلّ المسلم على المسلم حَرام.

٨- قاعدة العدالة الاقتصادية:

فقد نظّم الإسلام المعاملات، وحرّم الغش والرِّبا والاحتكار، وشجّع

الكسبَ الحلال، ورغّب في الإنفاق من الطيبات، واستثمار الأموال، وإنشاء المزارع والمصانع والمتاجر، وشرعَ نظام الزكاة؛ ليعيش المجتمعُ المسلم في بحبوحة ورخاء.

٩- قاعدة تكريم الإنسان:

عظّم الإسلامُ شأن الإنسان ذكراً وأنثى، وأعلى قَدْرَه، وبيّن أنّه سيّد الكون، وخليفة الله في الأرض، وأنّه مُفضّل على سائر المخلوقات، وأنَّ الناس جميعاً خُلقوا من أصل واحد، وهو التراب، وسيعودون إليه عندما يموتون، وأنّه لا فضلَ لأحدهم على آخر في لون، أو عرق، أو لغة، أو مال، أو مهنة، إلا بالتقوى والعمل الصّالح.

١٠- قاعدة التوحّد في أمّة مسلمة واحدة:

جعل الإسلامُ الولاءَ لله ورسوله والمؤمنين، وأعلى قيمة الوَحْدة تحت راية الدِّين، ودعا إلى الاعتصام بحبل الله المتين، وتشدّد في نَبْذ العصبيات الجاهلية، والدعوات الإقليمية، والنَّزعات الانفصالية، وحرّم التفرّق وموالاة الأعداء والمجرمين:

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سواهُ   إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ!

الفصل الثاني

الدّعوة إلى محاسبة النفس

- دعوة القرآن الكريم
- دعوة السُّنّة النبوية
- دعوة الصَّحابة والصَّالحين
- دعوة العلماء والمربّين

الفصل الثاني: الدّعوة إلى محاسبة النفس

دعوة القرآن إلى المحاسبة

جَلَّى القرآنُ الكريم النفسَ البشرية غايةَ التجلية، وسلّطَ عليها الضوء، فبيّن طبيعتها، وكشفَ قناعَها، وجعلها محورَ الاهتمام، ومناط التكليف، على حين زاغتْ أهواءُ الفلاسفة في النفس، وتضاربت نظرياتُ التربويين الغربيين في كُنهها ومسلكها.

ذلك لأنَّ القرآن هو كتاب الله الذي لا تزيغُ به الأهواء، ولا تلتبسُ به الألسنة، ولا يشبعُ منه العلماء، ولا يَخْلُق على كثرة الرّد، ولا تنقضي عجائبُه.

ومن أهم المحاور التي جلّاها القرآن في النفس:

١ - تبصير الإنسان بنفسه:

دعا القرآن الكريم الإنسانَ إلى التفكّر في نفسه، وتأمّل خَلْقه وصُنعه، وتبيّن ما فيه من دقة الإحكام، وروعة الإنشاء، وما فيه من آيات وشواهد دالّة على الخالق المصوّر: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴾ [الروم: ٨].

ونحن نعيش الآن في القرن الخامس عشر الهجري، (العقد الأخير من القرن العشرين الميلاديّ)، وقد وقفنا على حقائق باهرة، وآيات عجيبة عرفها العلم عن نفس الإنسان، وعن تكوينه الجسميّ:

عن دماغه الذي يوجد فيه نحو ثلاثة عشر مليار خلية عصبية.

عن عينه التي تشتمل على مائة وأربعين مليون مُستقبل حسّاس للضوء.

عن أذنه التي تحتوي على ثلاثين ألف خلية سمعية.

عن أنفه الذي يستطيع أن يحدّد نحو أربعة آلاف رائحة مختلفة.

عن قلبه الذي يعمل على ضخ الدّم عبر مائة ألف كيلو متر من الأوعية الدموية يومياً.

عن جِلْده الذي يوجد تحت سطحه أكثر من خمسة ملايين مُكيّف لحرارة الجسم: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

ولولا أنْ يطول الحديث لجمعنا شيئاً كثيراً عن عجائب النفس التي عرفها العلم الحديث، وهي عجائب لا تنتهي عند حدّ، ولا تزال تزداد كلّ يوم، حتى ليحسّ المرء أنّ كلّ عجيبة تفوقُ أختها: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصِّلَت: ٥٣].

٢- تحميل الإنسان مسؤولية عمله:

بعد أن بصّر القرآن الإنسانَ بنفسه ألزمه أنْ يحملها على اتباع طريق الإيمان، وقرّر أنَّ النفس مسؤولة عمّا كسبت واكتسبت، وما جرحَت واقترفت، وما أبدَتْ وأخفَت.

وقرّر أنّها لا تحملُ إلا وِزْرَها، ولا تُحاسَب إلا على ما عملت باختيارها وإرادتها، وأنّها ستجدُ عملها وكسبها يوم القيامة؛ ليوفّيها الواحد الدّيان حسابها بالعَدْل:

- ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي

لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٣- ١٥].

- ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

٣- دعوة الإنسان إلى وقاية نفسه:

من رحمة الله ﷻ بالعباد أنْ أنذرهم وحذّرهم، وأقام الحجّة عليهم، وجعل الحسنات مُكفّرات للسيّئات، وضاعف الحسنات، ولم يضاعف السيّئات.

فلقد دعا القرآن الناس إلى وقاية أنفسهم وأهليهم من النار التي تُوقد من أجساد الكفار والعُصاة، ومن الحجارة العظيمة، فتتلظى وتستعر، وتتلقّى أصحابها في غيظ شديد، وحَنَق عنيف، وهم يسمعون شهيقها، ويحسّون باضطرابها: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٧ - ١١].

كما دعا القرآن المؤمنين إلى وقاية أنفسهم ووقاية أهليهم من هذه النار المستعرة التي لا ترحم، ولا تُبقي ولا تذر، وقايتهم بأمرهم بالصّلاة، وفعل الخير، والالتزام بمنهج الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

٤ - دعوة الإنسان إلى تزكية نفسه وتطهيرها:

ووقاية النفس إنّما تكون بتزكيتها وتطهيرها من الأرجاس والأدناس، والسموّ بها عن السَّفاسف والنقائص، والرّقي بها نحو الفضائل والنفائس، والارتفاع بها عن الأهواء والصغائر، والصّعود بها من أسفل سافلين إلى أحسن تقويم، وتطهيرها من الكفر والشِّرك، وتنقيتها من النفاق والرِّياء، وتخليتها من الكِبْر والعُجب، وتخليصها من الهوى والظلم: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

وقد أثنى القرآن على المتطهرين ثناءً عاطراً، وبيّن أنّ هذا التطهّر مرتبطٌ بعبادة الله حقّ العبادة، وبالقيام في بيوت الله أحسن قيام: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

٥ - دعوة الإنسان إلى التوبة والاستقامة:

لا تكتملُ تزكية النفس إلا بحملها على التوبة الخالصة، وترك الجهالة، وإصلاح ما فسدَ من نية في القول أو العمل، ولا تكتملُ إلا بالمبادرة إلى تجديد هذه التوبة في أسرع وقت: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

والتوبة الخالصة الصادقة تقودُ إلى الاستقامة: استقامة الفكر والسُّلوك، والسّيرة والسّريرة، والظاهر والباطن، فيغدو اللسان ذاكراً، والقلب خاشعاً، والنفس راضية، والعمل صالحاً، ويتذوّق الإنسان حلاوة الإيمان كما يتذوّق كلَّ طعم لذيذ شهيّ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢].

٦- دعوة الإنسان إلى إعداد الزَّاد:

لعلَّ أوسع باب يؤدي إلى الاستقامة، ويقوّي رغبة المسلم في الإقبال على فعل الخيرات، والاستبسال في التضحية، ويدفعه إلى محاربة نوازع الشر، والتخلّص من الآثام، هو باب إعداد الزاد ومحاسبة النفس.

ذلك لأنَّ المحاسبة واجبة على كلّ مسلم بنصّ القرآن، لما فيها من تقويم للنفس، وتعديل للسلوك، ورَصْد لمقادير الخير والشر، وتنظيم للأعمال، ولما فيها من تذكير بالواجبات، وإثارة للطاقات، ودفع للهمم والمروءات، ولما فيها من توثيق الصّلة بالله ﷻ، وحَمْل النفس على طاعته، وحسن ذكره وشكره وعبادته.

ولا ينبغي للعاقل البصير أنْ يغفل عن محاسبة نفسه؛ لأنَّ في الغفلة عنها نسياناً للنفس، ونسياناً لله ﷻ، ونسيانُ الله ﷻ خسارة كبرى على النفس، ليس بعدها خسارة، وعلامة كبرى على فسق العبد، وكفى بها علامةً للتعاسة والشقاء.

فليهرع الكيّس الفَطِن، وليعدّ الزاد، ولينظرْ فيما قدّم ليوم المعاد؛ ليكون من أصحاب الجنة الفائزين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [الحشر: ١٨ - ٢٠].

دعوة السُّنة النبويّة إلى المحاسبة

تُعدّ السّنة النبويّة مدرسة كبرى في تزكية النفس ورعايتها ومحاسبتها، ذلك لأنّ صاحب هذه السّنة هو محمّد رسول الله الذي جعله الله ﷻ قدوةً حسنة للناس جميعاً.

والمسلم أولى الناس بالتأسّي برسول الله ﷺ في جميع أقواله وأعماله وأحواله، تنفيذاً لأمر الله ﷻ، ولأنَّ هذا الرّسول الكريم لا ينطق عن الهوى، ولا يعمل عن هوى، ولا يتّبع الهوى، بل يتّبع الوحي والتنْزيل، ولأنَّ حُبّ الله ﷻ ومغفرةَ الذّنوب لا تكون إلا بإتّباعه وإطاعته، ولأنّه الحَكَم العَدْل الذي يحكم بما أنزل الله، ولا إيمانَ إلا بالرجوع إليه، والأخذ منه، ولأنَّ مَنْ يطيعه يدخل الجنّة، ومَنْ يعصيه فلا نصيبَ له فيها:

- ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

- ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

- عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِى يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إلاَّ مَنْ أَبَى». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِى دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَى». (رواه البخاريّ)

وتتجلّى رعاية النفس في السُّنة النبوية في المحاور التالية:

١ - التزكية وظيفة نبويّة:

حدّد الله ﷻ ثلاث وظائف للنبيّ محمّد ﷺ هي:

أ. تلاوة آيات الله.

ب. تزكية النفوس.

ج. تعليم الكتاب والحكمة.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وقد قام رسول الله ﷺ بهذه الوظائف كلّها، وبوظيفة التزكية خير قيام، فسيرته تعبق بروائح التزكية السّامية، وتفيض بروائع الرّوحانية الصّادقة، فقد كان ﷺ مثلاً أعلى لأصحابه، يذكّرهم ويعلّمهم ويزكّيهم، ويعبد الله مخلصاً له الدِّين، ويتلو القرآن آناء الليل والنهار، ويقوم من الليل حتّى تتفطّر قدماه، ويذكر اللّه دائماً على كل أحيانه، ويكثر من الاستغفار والدعاء، ويتوب إلى الله كلّ حين، ويبكي من خشية الله، ويعظّم النعمة، ويحدّث بها، ويرضى بالقليل من الدُّنيا في طعامه وشرابه ومتاعه، وينظر فيما قدّم، ويعمل ليوم الحساب، وهو المشهود له بالتزكية، والخُلُق العظيم، والمغفور له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر.

وكان خُلقه القرآن، يرضى لرضاه، ويسخطُ لسخطه، ولا ينتقم لنفسه، ولا يثأر لها، ولا يغضب إلا لله.

كان رحيماً أليفاً، ودوداً عطوفاً، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا فاحشٍ ولا لعّان، ولا متكبّر ولا جبّار، يمزح ولا يقول إلا حقّاً.

كان كريم اليد، سَخي النفس، سَمْحاً متواضعاً، يحبّ أصحابه ويشاورهم ويتفقّدهم، ويحبّ التفاؤل، ويكره التشاؤم، ويحبّ الطيبات، ويكره الخبائث.

ولقد صنعَ رسولُ الله أصحابَهُ على عينه، فأخرج بهذه التزكية جيلاً قرآنياً متفرّداً ما عرف لهم التاريخ نظيراً، حتّى تنَزّل فيهم قرآن يُتلى يمدحهم، ويثني عليهم.

٢- تحذير النبيّ ﷺ من الدُّنيا:

حذّر النبيّ ﷺ من الافتتان ببهجة الدُّنيا وزينتها، والافتتان بالنساء بمباشرة الأسباب التي تثير شهوة النفس كالاختلاط بهنّ، والنظر إليهنّ، أو الانشغال بهنّ - إذا كُنَّ حلائل - عن الواجبات، والاشتغال بحوائجهنّ عن الطاعات.

كما حثَّ على الرّضا بما قسمَ الله من الدُّنيا، ودعا إلى العفاف والقناعة، والاقتصار على ما تدعو إليه الحاجة والضرورة، والإكثار من الصدقة، وإعانة المحتاج، وبذل المال، وحذّر من التطلّع إلى ما في أيدي الناس.

ودعا إلى أنْ لا يركن العبد إلى الدُّنيا، ولا يتّخذها وطناً، ولا يحدّث نفسه بطول البقاء فيها، ولا الاعتناء بها على حساب الآخرة، ولا يتعلّق بها إلا بما يتعلّق به الغريبُ في غير موطنه، ولا يشتغل فيها إلا بما يشتغل به الغريبُ الذي يريدُ الذهاب إلى أهله:

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدُّنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنيا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِى النِّسَاءِ». (رواه مسلم)

٣- دعوة النبيّ ﷺ إلى اغتنام الحياة:

رغّب النبيّ ﷺ كلَّ محبّ لله ﷻ في اغتنام حياته، والحرص على الاستفادة من صحته وفراغه، ودعاه إلى تقدير هذه النعمة، وعدم تضييع أوقاته بما لا فائدة فيه، وعدم إتعاب جسمه بما يضرّه.

وحثّه على المبادرة إلى التوبة، وبيّن أنَّ بابها مفتوح ليلاً ونهاراً حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها، وما لم يُغْرغر العبد، أو تصل روحُه إلى الحلقوم، وعندها لا تُقبل توبة أحد، وأنَّ الله ﷻ يفرح بتوبة العبد فرحاً شديداً أشدَّ من فرح مَنْ ضيّع

راحلته بأرض فلاة، ثمَّ وجدها بعد يأس وقنوط: قَالَ رسـولُ الله ﷺ: «لَلَّـهُ أَفْـرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلاً، وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُـهُ عَلَيْهَـا طَعَامُـهُ وَشَـرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَـةً، فَاسْـتَيْقَظَ وَقَـدْ ذَهَبَـتْ رَاحِلَتُـهُ، حَتَّـى اشْـتَدَّ عَلَيْـهِ الْحَـرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ أَرْجِعُ إِلى مَكَانِى. فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَـةً، ثُـمَّ رَفَـعَ رَأْسَـهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ». (رواه البخاريّ)

ودعاه إلى أنْ يغتنم ما يتحقّق له مـن الأمـن والكفايـة بالاسـتكثار مـن الخـير والعبادة، واغتنام شبابه وغناه، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل دنوّ الموانع كالفقر الشديد، والغنى المطغي، والمرض، والهرَم، والدَّجال، والموت، والسَّاعة.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهمـا – قَـالَ: قَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «نِعْمَتَـانِ مَغْبُـونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ». (رواه البخاريّ)

ووجّه النبيّ ﷺ كلّ عبدٍ إلى الإعداد للموت، والإكثار من ذكره، والإسـراع في العمل الصالح؛ ليكون عملُه أنيساً له في قبره إذا رجع الناس، وتركوه وحـده: عـن أبي الدَّرداء ﷺ قال: قـال رسـول الله ﷺ: "اعبـد الله كأنّـك تـراه، وعـدّ نفسـك في الموتى، وإياك ودعوات المظلوم؛ فإنهنّ مجابات". (حديث حسن، تحقيق الألباني)

٤ – دعوة النبيّ ﷺ إلى المجاهدة وإدانة النفس:

بيّن النبيّ ﷺ أنَّ على المسلم الطائع أنْ يجاهـد نفسـه، ويحملـها علـى الالتـزام بطاعـة الله، ويحكّـم في رغائبهـا شـرعَ الله، ويلزمهـا حـدوده، ويبصّـرها بعهـوده، ويردعها عن الظلم، ويزجرها عن الغضب؛ إذ الشّدة الصحيحة لا تكون بمصـارعة الناس، وإنما تكون بمجاهدة النفس التي تعدُّ مجاهدتها أشدّ من مجاهدة العـدو: عَـنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَـا الشَّـدِيدُ الَّـذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». (رواه البخاري)

والمسلم الطائع يدرك أنْ ليس في استطاعة بَشَر أن يوفّي الله ﷻ حقّه، ويشكر

نعمه الكثيرة بعمله، وأنَّ هذا العمل مهما عَظُمَ فلن يدخله الجنة إلا برحمةٍ من الله، وعلى الرُّغم من ذلك فعليه أنْ يعمل باجتهادٍ ومُصابرة، ويسأل الله الرّحمة وحسن الخاتمة: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلاَ أَنْتَ، قَالَ: «وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ». (رواه مسلم)

وإذ يدرك المسلمُ الطائع أنَّ الجنة لا تُنال إلا بقطع مفاوز المكاره، والصبر عليها، وأنَّ النار لا يُنجّي منها إلا تركُ الشّهوات، وفطام النفس عنها، فإنّه يسعى جاهداً بما أوتي من قوة في التشمير للطاعة، والمبادرة إلى التخلّص من المعصية، وإبعاد النفس عن الهوى.

ولقد دعا النبيّ ﷺ إلى وجوب أخذ النفس بالحزم وإدانتها ومحاسبتها، حتى تأتي بواجب العبودية، كما دعا إلى عدم الرُّكون إلى الأماني الكاذبة، والأوهام الخادعة، فإنَّ الله تعالى يُثيب الناس بما عملوا، لا بما تمنّوا بغير عمل، وسوف يحاسبهم على كلّ صغيرة وكبيرة: عَنْ أَبِى برزةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لا تزولُ قدما عبدٍ حتى يسألَ عن أربع: عن عُمرهِ فيمَ أفناه، وعن علمِه ما فعلَ فيه، وعن مالِه مِنْ أينَ اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَه، وعن جسمِه، فيمَ أبلاهُ". رواه الترمذي، (حديث صحيح، تحقيق الألباني).

دعوة الصّحابة والصّالحين إلى المحاسبة

تحفلُ سيرةُ الصّحابة الكرام بأروع صُور الإيمان واليقين، والبطولة والفِداء، وتزكية النّفس، وطهارة الرّوح، ولا غروَ فقد تتلمذوا في مدرسة رسول الله ﷺ الذي ربّاهم أحسنَ تربية، وعلمّهم خيرَ تعليم، وزكّاهم أطهرَ تزكية، وجمعَهم بعد تفرّق، ووحّدهم بعد تمزّق، وجعلَ منهم هُداةً دُعاة، سادةً ذَادة.

وقد ملَكَ هؤلاءِ الصَّحابةُ أنفسَهم، فملكوا العالَمَ بأجمعه، وجاهدوا أنفسهم، فجاهدوا الطاغوتَ بأسره، وأرضوا الله باتّباع دينه، فرضيَ الله عنهم وأرضاهم، وأنزلَ فيهم قرآناً يتلى، يباركُ أعمالهم، ويرفعُ شأنهم، ويخلّدُ ذكرهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

وما أعظمَ ما نقرأهُ عنهم في صفحاتهم المشرقة التي تشهدُ بصدق إيمانهم، وعظيم جهادهم، وإخلاص مجاهداتهم، تلك الصفات الرائعة التي تلقّاها عنهم جيلُ التابعين، وتلقّاها عن التابعين تابعو التابعين، تلك الصفات التي تدفعنا – نحن أبناء هذا الزمان – إلى اقتفاء أثرهم، واتباع مسلكهم، والاقتداء بطريقتهم، واستلهام العِبَر من سِيَرهم.

باقة شذية من مجاهداتهم:

وهذه باقة شذية يعبقُ أريجها، ويتلألأ زَهْرُها، تشتمل على طائفة من أخبار الصّحابة الكرام، والصّالحين من التابعين وتابعيهم، هؤلاء الذين عرفوا أنفسهم، فألزموها الحقّ، فسطعت لهم الحقيقة، وانجلَتْ لهم الظّلمات، وذاقوا حلاوة الإيمان.

ذلك لأنَّ حياتهم لم تكن ضرباً من اللهو والعبث، أو انغماساً في الشّهوات، أو تنافساً فيما في أيدي الناس، أو تكالباً على ما هو آت، أو حزناً على ما قد فات، وإنّما كانت استقامةً في المقصد والمَسْلك، ومجاهدةً للنّفس والهوى، وتحصّناً من الشّيطان، وإعراضاً عن خوض الخائضين، وإقبالاً على الآخرة والنّعيم المقيم.

١ - دعوتهم إلى محاسبة النّفس:

- رُوي عن عمرَ بن الخطاب ﷺ أنه قال: "حاسبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسبوا، وزِنُوا أعمالَكم قبل أن تُوزنوا، فإنّه أهونُ عليكم في الحساب غداً أن تُحاسبوا أنفسَكم اليوم، وتزيّنوا للعرض الأكبر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

- قيل لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "كيف تقول في الجهاد والغزو؟ قال: ابدأ بنفسِك فجاهدها، وأبدأ بنفسِك فاغزها، فإنّك إنْ قُتِلْتَ فارّاً بعثك الله فارّاً، وإن قُتلتَ مُرائياً بعثك الله مُرائياً، وإنْ قُتلتَ صابراً محتسباً بعثك الله صابراً محتسباً".

- قال أبو الدّرداء ﷺ: "لا يفقه الرَّجلُ كلَّ الفقه حتى يمقتَ الناس في جنب الله، ثمّ يرجع إلى نفسه فيكون لها أشدَّ مقتاً".

- رُوي عن الحسن البصريّ رحمه الله أنَّه قال: "المؤمن قوّام على نفسه، يحاسبُ نفسه لله ﷻ، وإنّما خفّ الحسابُ يومَ القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدُّنيا، وإنّما شَقَّ الحساب يومَ القيامة على قوم أخذوا هذا الأمرَ من غير محاسبة".

- قال الحسن البصري أيضاً: "لا تلقى المؤمنَ إلا يعاتبُ نفسه: ماذا أردتُ بكلمتي، ماذا أردت بأكلتي، ماذا أردتُ بشربتي، والعاجزُ يمضي قُدماً لا يعاتبُ

نفسه".

- قال طاووس اليمانيّ رحمه الله: "ما مِنْ شيء يتكلّم به ابنُ آدم إلاّ أُحصي عليه حتى أنينه في مرضه".

- قال ميمون بن مهران رحمه الله: "التقيّ أشدّ محاسبةً لنفسه من سلطانٍ عاص، ومن شريكٍ شَحيح".

٢- معرفتهم أقدار نفوسهم:

- رُويَ أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ دخلَ على أبي بكر الصديق ﷺ فوجده يجبذُ لسانهُ بيده، فقال عمر: "مَهْ غفرَ الله لك، فقال الصّديق: هذا الّذي أوردني الموارد"!

وكان الصّديقُ يقول: "وددتُ أنّي شعرةٌ في جنب عبدٍ مؤمن"!

- قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "والله الّذي لا إله إلا هو، ليس شيء أحوج إلى طول سجن من لساني"!

- قال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله: "يا أميرَ المؤمنين، كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ بطيئاً بطيناً مُتلوّثاً من الخطايا، أتمنى على الله الأماني"!

- قال أحدُ السّلف رحمه الله: "كنتُ إذا اعترتني فترةٌ في العبادة نظرتُ إلى وجه محمّد بن واسع وإلى اجتهاده، فعملتُ على ذلك أسبوعاً"!

وكان التابعيّ محمد بن واسع يقول: "لو كان للذنوب ريح، ما قَدِرَ أحدٌ أن يجلسَ إليّ"!

- قال مالك بن دينار رحمه الله: "أذكرُ الصّالحين، فأفٍّ لي وتُف"!

- قال أيوب السختياني رحمه الله: "إذا ذُكِرَ الصّالحون كنتُ منهم بمعزل"!

- قال يونس بن عبيد رحمه الله: "إنّي لأعدّ مائةَ خصلة من خصال الخير، ما أعلـمُ أنّ في نفسي واحدةً منها"!

- كانت رابعة العَدويّة رحمها الله تقول: "أستغفرُ الله مـن قلّـة صِـدْقي في قـولي: "أستغفر الله"!

٣- ذكرهم الله ذكراً كثيراً:

- كان عبد الله بن المبارك رحمه الله يكثرُ الجلوس في بيته فقيل له: "ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش، وأنا مع كتاب الله، وسيرة النبي ﷺ؟!

- نُقل عن أحمد بن الحواري الدّمشقي رحمه الله أنّه قال:"إذا رأيتَ في قلبك قسـوةً فجالس الذّاكرين، واصحب الزّاهدين".

- قال أبو الوليد بن أبي الجارود رحمه الله: "كان أبو يعقوب البويطي جاري، فمـا كنتُ أنتبهُ ساعةً من الليل إلاّ سمعتُه يقرأ ويصلي"!

- قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله: "لم أزلْ منذ ثلاثين سنة كلّمـا أردتُ أن أذكـرَ الله أتمضمض، وأغسلُ لساني إجلالاً لله تعالى"!

٤- بكاء وخوف واجتهاد:

- رُويَ أنّه كان في أسفل عيني ابن عبَّاس -رضي الله عنهما- مثلُ الشّراك (سـير النعل البالي) من كثرة الدُّموع!

- رُوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أنّـه قـال: "ابكـوا فإنْ لم تبكوا فتباكوا، فو الذي نفسي بيده، لو يعلمُ أحدُكم لصرخَ حتى ينقطـعَ صوتُه، وصلّى حتّى ينكسرَ صُلْبُه".

- رويَ أنَّ ابن مسعود ﷺ "كان إذا هدأت العيون قـام، فَيُسـمع لـه دويّ كـدوي النّحل، حتى يصبح"!

- كان عمر بن عبد العزيز وفتح الموصلي - رحمهما الله - يبكيان الدّم خوفاً من الله ﷻ.

- كان أبو مسلم الخولاني رحمه الله إذا وقفَ على خربة قال: "يا خربة، أين أهلك؟ ذهبوا وبقيتْ أعمالهم، وانقطعت الشّهوة، وبقيت الخطيئة، يا ابنَ آدم، تركُ الخطيئة أهونُ من طلب التوبة"!

- حُكي عن طاووس اليماني رحمه الله "أنّه كان يقومُ الليل، ولا ينام السّحرَ قطّ"!

- قال موسى بن مسعود رحمه الله: "كنّا إذا جلسنا إلى سفيان الثوريّ كأنَّ النّار قد أحاطتْ بنا لِمَا نرى من خوفهِ وجزعِه"!

- قالت امرأة مسروق رحمهما الله: "ما كان يوجد مسروق إلا وساقاه منتفختان من طول الصّلاة"!

- كانت منيرة السّدوسيّة رحمها الله إذا جاء الليل تقول: "قد جاء الهول، قد جاءت الظلمة، قد جاء الخوف، ما أشبهَ هذا بيوم القيامة، ثمّ تقومُ فلا تزال تصلي حتّى تصبح"!

فهل من مُقتدٍ؟

هذه غَرْفة واحدة من حكايات القوم، ولهم أخبار أعجبُ ممّا ذكرنا، وما ذكرناه لا يعدُّ إلا قطرةً في بحر تعبدّهم واجتهادهم!

وليس لأحدٍ أن يُنكرَ ما كان عليه هؤلاء الأخيار، أو يزعم أنّهم حادوا عن جادّة الصواب، إذ اعتدلوا في العيش، وعرفوا أقدارَهم، وجاهدوا أنفسَهم، وعمروا آخرتَهم، وأرضوا ربَّهم.

ومَنْ حدّثته نفسُه بأنّ هؤلاءِ الرّجال قممٌ سامقة، وذوو همم عالية، لا يُطاق الاقتداء بهم، فليطالعْ أحوالَ النساء المجتهدات؛ ليرى من أحوالهنّ ما يعدّ نفسه بالإضافة إليهنَّ من الموتى، وما يستصغر نفسَهُ عند سماع مجاهداتهنّ!

ومنْ أراد أنْ يستزيد من أخبار القوم ومجاهداتهم فليطالع كتاب "حلية الأولياء" لأبي نُعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ)، و"صفة الصَّفوة" لابن الجوزي (٥٩٧هـ).

فهلْ من مُقتدٍ؟

دعوة العلماء والمربّين إلى المحاسبة

كان للعلماء العاملين الذين يخشون ربَّهم بالغيب، ويعملـون بما علَّمهـم الله، كان لهم نصيبٌ كبير في الدعوة إلى تربية النفس وإصلاحها ومحاسبتها، وقـد تمثّـلَ ذلك جلياً في مواعظهم ومصنّفاتهم الـتي تزخـرُ بـالحضّ علـى السُّلوك السَّوي، ومقاومة نوازع الشر، وتطهير النفس من الآفات والآثام.

ولم يكن هؤلاء العلماء والمربّون يقولون مـا لا يفعلـون، أو يُنظِّـرون للنـاس، وينسون أنفسهم، أو يَدَعُون أمرَ الدُّنيا لغيرهم، بل كانوا يعيشون كما يعيش الناس، غير أنّهم يتميّزون بالعلم، وصفاء النفس، وطمأنينة القلب.

فكانوا يشتغلون بطلب الكسب والمعاش، وكان منهم مَنْ يشتغل بعلوم الطبّ والكيمياء والفلك والحساب، حتـى غلَبَـتْ مِهَـنُهم علـى أسمـائهم، فكـان مـنهم الزّجّاج، والحدّاد، والـدّهان، والفـرّاء، والبـوّاب، والسّـقاء، وكـان مـنهم التـاجر، والفلاّح، والعامل، والمعلّم، والمجاهد.

وهؤلاء العلماء العاملون هم الأئمـة الـذين يـدعون إلى الخـير، وهـم الـذين يُقتدى بهم، ويُؤخذ عنهم، ويُترك مَنْ سواهم:

يُترك كُلّ مَنْ يـزعم أنَّ الـدِّين يـأمر بـالقعود عـن البنـاء والإعمـار، والتقنيـة والتصنيع، أو القعود عن الجهاد ومقاومة الأعداء، أو مَنْ يزعم أنّ الله سخّر "الغَرْب" من أجل خدمتنا، لنتفرّغ نحن لنشر الدّين فقط، فلا نكتشف، ولا نخترع!

يُترك كُلّ مَنْ يدعو إلى مذهب "الحلول" الذي يقوم على الاعتقاد بفكرة حلـول الله في جسد الإنسـان، و مـذهب "الاتحـاد" الـذي يقـول باتحـاد الله في إرادة العبـد، ومذهب "وحدة الوجود" الذي يقـول بـأنَّ الله هـو مجموعـة هـذه الموجـودات، وأنَّ الكون كلّـه هـو الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُمَر: ٦٧].

والخلاصة: يُترك كُلّ مَن اختلط فكرُه أو مسلكُه بمذاهب منحرفة، واعتقادات وثنية، وسفاهات وشطحات، أو اختلط بأيّ أمرٍ لا يمتّ إلى الإسلام بصلة، ولا يوافق التوحيد والتوازن والاعتدال.

قائمة الشَّرف:

في قائمة الشّرف أسماء كثيرة لا تكاد تحصى للعلماء الرّبانيين، والمربّين الفضلاء الذين دَعَوا إلى تطهير النفس تطهيراً إيمانيّاً، ووجّهوا الأمّة إلى تربية النشء تربيةً راشدة؛ من أجل إخراج جيل مؤمن بربّه، متمسّك بدينه، وشواهدُ ذلك أقوالُهم وأفعالُهم وكتبُهم.

ومن قائمة الشرف نذكر هؤلاء العلماء:

١ - الحسن البصري: (ت ١١٠هـ)

الحسن البصري تابعيّ جليل، ولد في المدينة المنورة سنة (٢١هـ) في خلافة عمر ﷺ، كانت أمّه "خَيْرة" مولاةً لأمّ سَلَمة زوج النبي ﷺ، وقد اشتُهر بزهده العمليّ القائم على الخوف والبكاء، ومحاسبة النفس، والتفكير في المصير.

٢ - الأوزاعيّ: (ت ١٥٧هـ)

إمام أهل الشام بإجماع المؤرخين، اسمه عبد الرحمن بن عمرو نسبة إلى الأوزاع قرية بدمشق، كان عالماً في الفقه والحديث والمغازي. وكان يقول: "مَنْ أكثر ذكرَ الموت كفاهُ اليسير". قال بشر بن الوليد: "رأيتُ الأوزاعيَّ كأنه أعمى من الخشوع"!

٣ - سفيان الثوري: (ت ١٦١هـ)

عالم، عابد، أجمع الناس على ورعه وزهده وثقته، وكانوا يسمّونه أمير المؤمنين

في الحديث، وكان جريئاً على الخلفاء والأمراء، وكان يقـول: "لا ينبغـي للرجـل أنْ يطلبَ العلم والحديث حتى يعملَ في الأدب عشرين سنة".

قال يوسف بن أسباط: "كان سفيان الثوريّ إذا أخذَ في الفِكْر بالَ الدَّم"!

٤ - الليث بن سعد: (ت ١٧٥هـ)

كان الليث بن سعد فقيهاً كريماً زاهداً، وكان أمراءُ مصر يحترمونه ويعظّمونـه، وكان يطعم الفقراءَ اللحم والحلوى، ولا يأكلُ هو إلا الخبز والزيت. وكـان يَـدْخل على الليث كُلَّ سنة ثمانون ألف دينار، فيوزّعها على المحتاجين، فما وجبتْ في ماله زكاةٌ قطّ!

٥ - عبد الله بن المبارك: (ت ١٨١هـ)

عالم، مجاهد، شاعر، زاهد، من أهل "مَرْو"، يعدّ من كبار الحفّاظ في عصره، وكان يخرجُ مع الجيوش الغازية للروم، ويتّجر ليكسـبَ معاشـه، ويحصّـل قوتـه، وكانـت تُشدّ إليه الرِّحال.

قال سفيان الثوريّ: "إني لأشتهي من عمري كلّه أنْ أكـون سـنةً واحـدة مثـل عبد الله بن المبارك، فما أقدرُ أنْ أكون، ولا ثلاثة أيام"!

٦ - المحاسبي: (ت ٢٣٤)

لُقِّبَ الحارث بن أسد بالمحاسبي نسبةً إلى محاسبة النفس؛ إذ كـان زاهـداً، فقيهـاً محدّثاَ، وكان يرى أنَّ "مَنْ صَحَّ باطنُه بالمراقبة والإخلاص زيّن الله ظـاهرَهُ بالمجاهـدة واتّباع السُّنة". وكان يدعو إلى تطهير النفس ومحاسبتها. ومن كتبه ورسائله: التـوهّم، والرِّعاية لحقوق الله، وآداب النفوس، ورسالة المسترشدين.

٧ - ابن أبي الدُّنيا: (ت ٢٨٢)

هو أبو بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدُّنيا، أحـد الثقـات والحفّـاظ

والمصنفين، صنّفَ نحوَ مائة وخمسين كتاباً معظمها في مكارم الأخلاق، وأبواب الرقائق.

ومن مصنفاته: محاسبة النفس والإزراء عليها، والفرَج بعد الشّدة، وكتاب ذكر الموت، وكتاب القبور، وكتاب الصَّمت، وكتاب البعث والنشور.

٨- الغزالي: (ت ٥٠٥هـ)

أبو حامد الغزالي، حجّة الإسلام، الفقيه الزاهد، كان جبلَ علم، مُناظراً محاججاً، وكان يروّض نفسه ويجاهدها، ومن مصنّفاته التي دعا فيها إلى تربية النفس ومحاسبتها: إحياء علوم الدين، ومكاشفة القلوب، وأيّها الولد المحبّ، والمنقذ من الضّلال.

٩- النَّوَويّ: (ت ٦٧٦هـ)

أبو زكريا يحيى بن شرف الدّين، كان زاهداً تقياً، ينشر العلم، ويُكثر من الصّوم، ويشتغل بالأوراد والعبادة، ويصبر على المعيشة الخشنة، ويجاهد نفسه، ويحملها على الطاعة.

ومن مصنّفاته: شرح صحيح مسلم، ورياض الصَّالحين، والأذكار، وبستان العارفين.

١٠- ابن قيّم الجوزية: (ت ٧٥١)

محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيّم، فقيه، مُفسّر، محدّث، لغويّ، كان حسنَ الخلق، محبوباً عند الناس، اهتمّ بجمع الكتب، ونشر العلم، وتتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولازمه وانتصرَ له. من كتبه: إغاثة اللهفان، ومدارج السَّالكين، وحادي الأرواح، ومفتاح دار السَّعادة، وعدّة الصابرين.

والسّلسلة الذهبيّة لهؤلاء العلماء طويلة فيها:

أبـو حنيفـة النعمـان (١٥٠هــ)، ومالـك بـن أنـس (١٧٩هــ)، والشـافعي (٢٠٤هـ)، وأحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، والبخاريّ (٢٥٦هــ)، ومُسـلم (٢٦١هــ)، وبشر الحافي (٢٢٧)، وذو النّـون المصـري (٢٢٦)، وابـن حـزم (٤٥٦هــ)، وابـن الجوزي (٥٩٧هـ)، وابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) وغيرهم.

وفي هذه السّلسلة الذهبيّة عدد كبير من علماء التربية المسلمين الذي دَعَـوا إلى إصلاح النفس، وتقويم السُّلوك، وتهذيب الأخلاق، وكانـت لهـم نظـرات تربويـة صائبة سبقوا بها علماء التربية في عصرنا الحديث، وتفوّقـوا في هـذا المضـمار أيّمـا تفوّق.

ومن هؤلاء المربين:

- ابن سحنون (٢٥٦هـ) صاحب كتاب "آداب المعلمين".
- القابسي (٤٠٣هـ) له كتاب "أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلّمين".
- الزّرنوجي (٥٩١هـ) له كتاب "تعليم المتعلّم".
- ابن جماعة (٧٣٣هـ) له كتاب "تذكرة السّامع".
- العلموي (٩٨١هـ) له كتاب "المعيد في أدب المفيد والمستفيد".

وقد برز في العصر الحديث عدد كبير من الأسـاتذة ورجـالات التربيـة الـذين دعوا إلى بناء النفس بناءً صحيحاً علـى أسـاسٍ وثيـق مـن الكتـاب والسّـنة، ومـن هؤلاء الذين نعدّ منهم ولا نعدّدهم، ونسأل الله أنْ يجزيهم عن الأمّة خير الجزاء:

- أبو الأعلى المودودي، له: منهج جديد للتربية والتعليم، وتذكرة الدعاة.
- أبو الحسن الندوي، له: ربانية لا رهبانية، ونحو تربية إسلامية.
- سعيد حوّى، له: تربيتنا الرُّوحية، والمستخلص في تربية الأنفس.
- عبد الله ناصح علوان، له: روحانية الداعية، وتربية الأولاد في الإسلام.

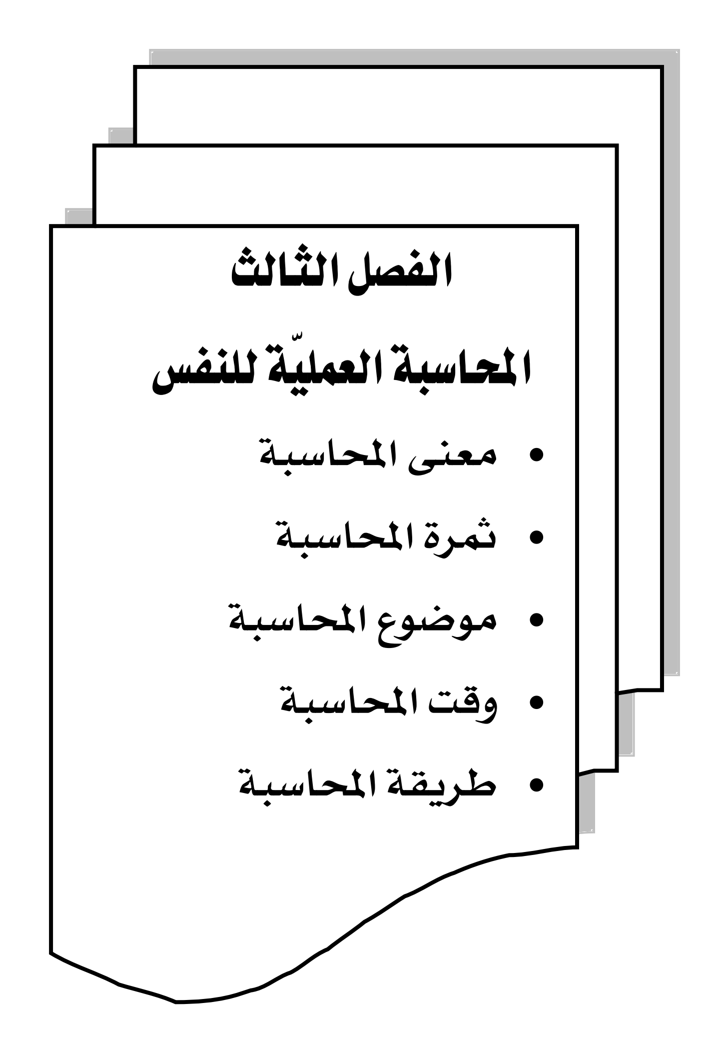
- محمد سعيد البوطي، له: منهج تربوي فريد في القرآن.
- محمد الغزالي، له: خُلق المسلم، وجدّد حياتك.
- محمد متولي الشعراوي، له: من فيض الرحمن في تربية الإنسان.
- محمد يوسف الكاندهلوي، له: حياة الصحابة.
- يوسف القرضاوي، له: الوقت في حياة المسلم، والمجتمع الذي ننشده.

وهناك عدد من علماء التربية الأجانب الذين برعوا في دراسة النفس، ودعوا إلى رعاية الفرد، والعناية بميوله واستعداده وحاجاته، ولنا أنْ نأخذ منهم ما يوافق الفطرة السليمة، والطبيعة البشرية السّوية، وننبذ ما سوى ذلك.

ومن هؤلاء العلماء الأجانب:

- جون ديوي في كتابه "التربية والمجتمع".
- ديل كارينجي في كتابه "دع القلق وابدأ الحياة".
- هربرت سبنسر في كتابه "التربية الخَلْقية والخُلقية".
- هنري لمفك في كتابه "العودة إلى الإيمان".




الفصل الثالث
المحاسبة العمليّة للنفس
• معنى المحاسبة
• ثمرة المحاسبة
• موضوع المحاسبة
• وقت المحاسبة
• طريقة المحاسبة

الفصل الثالث: المحاسبة العمليّة للنفس

معنى المحاسبة

إنَّ الأصل الثلاثي لكلمة المحاسبة هو "حَسَبَ"، يقال: حسبَ المال حِساباً وحُسْباناً، أي عَدَّهُ وأحصاه وقدّره. وحاسبه محاسبة: ناقشه الحساب وجازاه.

ومحاسبة النفس تعني: إحصاء ما عَمِلَ الإنسان في يومه من الطّاعات والمعاصي، ورصد مقادير الخير والشّر، وتبيان مواطن الإجادة والتقصير، ومناقشة النفس ومساءلتها عن ذلك.

والمحاسبة واجبة على كلّ مؤمن بنصّ القرآن، إذ الأصل فيها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

وفي الآية الكريمة أمرٌ صريح بالمحاسبة، ودعوةٌ بيّنة للأخذ بأسباب الصَّلاح، والسّير في مظانّ المتقين، والتحرّي لجوامع الخير التي تنفع النفس يومَ يقوم الناس لربّ العالمين.

والمحاسبة فريضة شرعيّة، وضرورة دنيويّة؛ لأنَّ فيها تقويماً مستمراً للنفس، وتعديلاً للسُّلوك، وتنظيماً للأعمال، وتذكيراً بالواجبات، وإثارة للهمم والطاقات.

ومن أجل الإحاطة بمحاسبة النفس لا بدَّ أنْ نجيبَ عن أربعة أسئلة، تُبْنى على أساسها المحاسبة، ويتمّ بها التصوّر الشامل لأساليبها وطرائقها:

السؤال الأول:

لماذا نحاسبُ أنفسَنا؟ وهو (**ثمرة المحاسبة**)

السؤال الثاني:

علامَ نحاسبُ أنفسَنا؟ وهو (**موضوع المحاسبة**)

السؤال الثالث:

متى نحاسبُ أنفسَنا؟ وهو (**وقت المحاسبة**)

السؤال الرابع:

كيف نحاسبُ أنفسَنا؟ وهو (**طريقة المحاسبة**)

ثمرات المحاسبة وفوائدها

إننا نجني ثمراتٍ طيبات يانعات من محاسبتنا لأنفسنا، فهي الباب الذي يـؤدي إلى تزكية النفس، وتزكيةُ النفس تؤدي إلى الاستقامة، والاستقامة تحقّق مرضـاة الله، وتهدي إلى الجنة.

فما أهمّ هذه الثّمار؟

الثّمرة الأولى:

نعرف أنفسنا التي بين جنوبنا، ونطّلع على أحوالها وصفاتها، فنعرف حقيقتهـا وطبيعتها.

فالنفس هي ذات الإنسان الذي يأتلف مـن روح لا يعلـم سـرّها إلا الله ﷻ، ومن جسم ماديّ يشتملُ على هذه الـرُّوح، ويحيـا بهـا، ومـن عقـل يفكّـر ويـدبّر، ويوجّه طاقة الحياة في الإنسان، وهو مناط التكليف وحمل الأمانة.

وقـد ألهـمَ الله ﷻ هـذه الـنفس فجورهـا وتقواهـا، ووُصـفت في كتـاب الله بأوصاف مختلفة حسب اختلاف أحوالها:

١. **النفس المطمئنة:**

هي التي يطمئن صاحبُها إلى معرفة الله وأسمائه وصـفاته، وإلى مـا وعـدَ بعـد الموت، وإلى قَدَر الله وقضائه، وإلى منهج الله وشرعه.

وهي التي يطمئن صاحبُها من الشَّك إلى اليقين، ومن الجهل إلى العلـم، ومـن الغفلة إلى الذّكر، ومن الرِّياء إلى الإخلاص.

وهي النفس المتيقّظة التي تكشـف عـن القلـب سِـنةَ الغفلـة، وتـرى العيـوبَ وآفات العمل، وتدركُ قيمة الوقت في تحصيل الرّبح والخسارة.

وهي النفس التي تُنسب إلى الله ﷻ، وتشتاق إلى لقائه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

٢. **النفس اللوّامة:**

هي النفس التي تلومُ صاحبها على تقصيره في جنب الله ﷻ، وعلى ترك الطاعات، وفعل المنكرات، وتدعوه إلى الاستغفار والإنابة، والتراجع عن الخطأ، وتتحمّل لوم اللوّام في مرضاة الله، ولا تأخذها في الله لومةُ لائم.

وهي النفس التي تُشعر صاحبها بالندم والتحسّر على اقتراف الإثم، وارتكاب المعصية: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١ - ٢].

٣. **النفس الأمّارة بالسّوء:**

هي النفس التي تدعو صاحبها إلى الشرّ والمنكر، وتأمره بالسوء ومتابعة الشيطان، وتغمسُه في الشِّرك والإثم والخيانة، وتزيّن له الفاحشة، وترغّبه في الإقبال على الدُّنيا الفانية.

وهي النفس التي تصرف صاحبها عن المجاهدة، وتنفّره من أداء الواجبات، وتغريه بالخَلْق يظلمهم، ويعتدي عليهم.

ولا يتخلّص أحدٌ من هذه النفس إلا بتوفيق الله ﷻ، ثمّ بمجاهدتها: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٣].

الثمرة الثانية:

نطّلع على عيوب أنفسنا، ونقف على مواضع تقصيرها، وعلامات صحتها ومرضها.

فمن علامات مرض النفس:

- أنْ يكره العبدُ مَنْ يبيّن له عيوبه، ويحبّ مَنْ يمدحه بما فيه، وبما ليس فيه.
- أنْ يكثر من الحديث عن نفسه وأهله وماله وأولاده.
- أنْ يحبّ أنْ يتحدّث عنه الناس، ويذكروا فضله، ومكانته، ونفوذه وتأثيره.
- أنْ يحسد أصحابه، أو أقاربه، أو جيرانه، أو زملاءه في العمل على نعمٍ ظاهرة عليهم.
- أنْ يرمي الناس بالجهل والغفلة والتقصير، وينتقص من أقدارهم.
- أنْ يتكلّف إظهار سَمْت الصّالحين، ووقار العلماء.
- أنْ يُعْجب بصوته في الأذان أو التلاوة أو الإنشاد أو الخطابة، ويزدري أصوات غيره.
- أنْ يستخفّه الطرب والغناء، وتستهويه المسلسلات التافهة، والأفلام الخليعة.
- أنْ يُسْبل ثوبه كِبْراً وتيهاً، وإظهاراً للوجاهة وعلوّ الشأن.
- أنْ يزيد في الطاعة إذا مُدح، ويُنقصها إذ ذُمّ، أو عِيب عليها فيها.
- أنْ يسخط لو كتبَ أحدُهم كتاباً عن أعلام البلد، ولم يذكر اسمه فيه، أو يسخط؛ لأنّه لم يُدْعَ إلى مأدبة، أو لم يُمنحْ جائزة، أو لم يُنوّه بفضله ومكانته في موقف ما.
- أن يُهْمل مراجعة نفسه، والتفتيش عن عيوبها، ويعتقد أنَّ كلَّ ما يعمله صحيح، ولا يحتاج إلى مراجعة أو إعادة نظر.

ومن علامات صحة النفس:

- أنْ يحبّ اللهَ ورسولَه أكثر من نفسه وأهله وماله.

- أنْ يحبّ أخاه، لا يحبّه إلا لله، وأنْ يفرح لفرح المسلمين، ويحزن لحزنهم.
- أنْ يذكر الناس بالخير، ويلتمس لهم الأعذار.
- أنْ يجالس الضُّعفاء والمساكين، ويماشيهم في الطريق، ويحادثهم، ويسلّم عليهم، ويؤاكلهم.
- أنْ يكثر من زيارة المرضى وأهل البلاء وذوي العاهات.
- أنْ يلقى مَنْ دونه في العلم أو المكانة أو المنصب ببشاشة وحسن استقبال.
- أنْ يُؤثر شراء حاجاته وحملها بنفسه.
- أنْ يرضى بما يُقدّم له الناس من طعام وشراب، ولا يحتقر النعمة أو يذكرها بسوء.
- أنْ يكتم طاعاته، ولا يحدّث بها الناس، كما يحرص على كتم سيئاته وإخفاء عيوبه.
- أنْ يكون غيوراً على محارمه وأهل بيته، وعلى محارم المسلمين.
- أنْ يشعر بالاستياء إذا وقع خصامٌ بين اثنين، وأنْ يسعى في الإصلاح بينهما.
- أنْ يراجع نفسه، ويحملها على الطاعة وصالح العمل.

ومعرفةُ علامات مرض النفس وصحتها خُطوةٌ مهمّة في بناء خُطط إصلاحها، فمن أحبَّ نفسه حاطها وأبقى عليها، ومَنْ لم يكنْ فيه خيرٌ لنفسه لم يكن فيه خير لغيره، ومَنْ كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ، ومَنْ ضيّع نفسه فهو لما سواها أضيع، ومَن اشتغل بأحوال الناس نسيَ حاله، ومَنْ أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومَنْ أصلح نفسَه فقد أرغم أنف أعاديه!

الثمرة الثالثة:

ندخل في دائرة التزكية، ونتمرّس بهذا العلم، وننقله إلى الناس.

فتزكية النفس هي تطهيرها من الشِّرك والنفاق والرِّياء، وتحقيقها بالتوحيد، وبأسماء الله الحسنى مع العبودية الكاملة لله ﷻ.

ويكون ذلك بطريق التحلية والتخلية، ومن ذلك:

- تخليتها عن النجاسات القلبية والنفسية مثل: الشِّرك، والكبرياء، والعُجْب والغرور، وحبّ الدُّنيا، واتّباع الهوى، والحسَد، والبخل والشّح.
- تحليتها بالطّيّبات ومكارم الأخلاق مثل: الرّضا والتسليم، والصَّبر الجميل، والتواضع الجمّ، والعفو والصفح، والإيثار وحُبّ الخير.
- تطهيرها من شهواتها المحرّمة كالزّنا والفاحشة، ومن سلوكها الآثم كالرّبا والرّشا.
- تبصيرها بعلم كمالات النفس، لتخليصها من النقائص، ففي كلّ نفسٍ نقصٌ وضعف وعيب لا يمكن التخلّص من شيء منها إلا بهذا العلم.
- وهذه طرائف من الحكمة في تزكية النفس هي لأولي الألباب عبرةٌ وعظة:
- قيل لأحد الصالحين: "مَنْ أدّبك؟ قال: نفسي. قيل: وكيف ذلك؟ قال: كنتُ إذا استقبحتُ شيئاً من غيري اجتنبتُه"!
- قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "لو أعلمُ أنَّ الله قبلَ مني سجدةً واحدة لم يكن غائبٌ أحبّ إليَّ من الموت"!
- قال أبو ذؤيب الهذليّ:

والنفسُ راغبةٌ إذا رغّبتَها ... وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تَقْنعُ!

- قال أبو الأسود الدؤلي:

ابـــدأ بنفسِـكَ فانههَــا عــنْ غَيّهـا فــإذا انتهــتْ عنــه فأنـــتَ حكــيمُ!

- قال الإمام الشّافعي:

صُن النَّفسَ واحملها على مـا يَزينُهـا تعـشْ سـالماً والقــولُ فيـكَ جميــلُ!

- قال أبو الفتح البستي:

أقبل على النفس فاستكمل فضـائلها فأنـــت بـالنفس لا بالجســم إنســانُ!

- قال البوصيري:

والنفسُ كالطِّفل إنْ تتركه شبَّ علـى حُـبّ الرّضــاع وإنْ تفطمــه يــنفطمِ!

الثمرة الرابعة:

نعرف الحقوق الواجبة علينا، حقّ الله تعالى، وحقّ النفس، وحقّ العباد.

فمن حقّ الله علينا:

- أنْ نوحّده ونؤمن به إيماناً صادقاً، ولا نشرك به أحداً.
- أنْ نعبده حقّ العبادة، ونطيعه ولا نعصيه.
- أنْ نشكره ولا نكفره، وأنْ نذكره ولا ننساه.
- أنْ نلتزم بشرعه، ونحكّمه في حياتنا.

ومن حقّ النفس:

- أنْ نمنعها عن كلّ ما يضرّها من مستقذرات وخبائث ومحرّمات كالخمر والدُّخان والمخدّرات.

- أنْ نجنّبها ما يُهلكها كالانطواء، والاعتزال، والانتحار.
- أنْ نتجنّب التعري، وأنْ نستر أجسامنا باللباس اللائق، ونتمتّع بالزينة المباحة.
- أنْ نتزوّج لنقضي شهواتنا في الحلال، ونكوّن أسراً صالحة، ونعمّر الأرض بالتناسل والتوالد.
- أن نُكسبها العلمَ النافع، والأدبَ النبيل، والعاداتِ الحميدة.

ومن حقّ العباد:

- أنْ نتعاون معهم على البرّ والتقوى.
- أنْ نصل الأرحام، ونودّ الأصدقاء، ونحسن إلى الجيران.
- أنْ نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر.
- أنْ نحفظ ألسنتنا من غيبتهم، أو السّعي بالنميمة بينهم.
- أنْ نحافظ على ممتلكاتهم، وأموالهم، ودمائهم، وأعراضهم.

الثمرة الخامسة:

ندرك قيمة الوقت في حياتنا، ونحسّ بأهميته؛ إذ هو رأس مالنا.

وإدراكنا لقيمة الوقت يمنحنا فرصةً ذهبية لتنظيم أوقاتنا، وتدبير أعمالنا، وتخليصنا من الفوضى التي تضربُ بخيوطها على حياتنا.

وإدراكُ الوقت يسكبُ في جوانحنا أنَّ أنفاسنا معدودة، وأيامنا محدودة، وأعمالنا مرصودة.

واليوم يتحدّث خبراءُ الاقتصاد والإدارة في العالم الصناعيّ عن إدارة الوقت، بينما تُهدر في عالمنا العربيّ والإسلاميّ الساعاتُ والأيامُ والأسابيع والشّهور

والسّنون، وتذهب الأعمار سُدى، وتضيع الأوقات هباءً منثوراً، فيتقـدّم النـاس في العلم والتقنية، ونتأخّر نحن عن الرَّكب!

هم يقضون أثمن أوقاتهم في المعامل والمختبرات، ونحـن نقضـيها في مشـاهدة المباريات والمهرجانات، هم ينفقون آلاف السَّاعات في البحث عن الأدوية الناجعة، ونحـن نقضـي آلاف السَّـاعات في إيـذاء أبصـارنا وأجسـامنا بمتابعـة الأفـلام والمسلسلات!

فهل يستوي في الحياة الكريمة مَنْ يحرص على وقته ومَنْ يضيّع وقته؟

وفي ديننا الحنيف من النصوص الصَّريحة ما يجعلُ إدارةَ الوقت فريضةً شرعية، وفي تراثنا شواهد كثيرة على استشعار قيمة الزّمن، فالوقتُ مـن ذَهَـب، ولا ينبغـي أن يمرّ يومٌ على العاقل إلا وقد عمـلَ فيـه خـيراً، أو ازداد فيـه تُقـى وصَـلاحاً، أو اكتسبَ فيه علماً وفلاحاً:

إذا فـاتني يـومٌ ولم أصـطنعْ يـداً ولم أكتسبْ علماً فما ذاك من عمري!

- قال أحد العارفين بالله: "يا بنَ آدم، إنّما أنـت أيـام، إذا ذهـبَ يـومٌ ذهـبَ بعضُك"!

- وقال شوقي:

دقّـاتُ قلـب المـرءِ قائلـةٌ لـه إنَّ الحيـاةَ دقائـق وثـوانِ!

- وقال آخر:

إنّا لنفـرحُ بالأيـام نقطعُها وكلّ يومٍ مضى نقصٌ من الأجلِ!

وأحسنُ من هذا وذاك قولُ الله ﷻ الذي يدعو الناس إلى الانتباه من الغفلة، وأخذ العبرة من الحوادث، والاستفادة من الوقت بالإنابة والتوبة: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ

أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٦].

موضوع المحاسبة

علامَ نحاسبُ أنفسَنا؟

نحاسبُ أنفسنا على مدى قيامِنا والتزامنا برسالة الإسلام الخالدة، وما تضمّنتْ من عقيدة وشريعة، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق، وآداب، فدينُنا الحنيف كُلٌّ متكامل، ونظام شامل، لا يصحّ فيه اتّباع شيء، وترك شيء آخر، أو أخْذ ما يوافق النفس والهوى، ونبذ ما لا يوافق، أو الإيمان ببعض، والإعراض عن بعض كأهل الكتاب الذين أنزل الله فيهم:﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

فالواجب إذن أن نحاسبَ أنفسنا على كلّ صغيرة وكبيرة: على الكلمة والسَّكتة، والبسمة والضّحكة، واللمسة والهمسة، والنّظرة والشَّمّة، واللقمة والطّعمة، والأكلة والشّربة، والحركة والسَّكنة، والفعلة والصنعة، والوقفة والقَعْدة، والمشية والجلسة، والغدوة والرَّوْحة.

المحاور الكبرى التي نحاسبُ عليها أنفسنا:

تنتظمُ رسالة الإسلام محاور كبرى تجمعُ أصولها وفروعها، وتشكّل وحدةً واحدة تعينُ المحاسب لنفسه على الإحاطة بها، والوقوف على دقائقها، وأبرز هذه المحاور: **صحة الاعتقاد، وإخلاص العبادة، وفقه العمل والمعاملات، وسلامة الخُلُق والأدب.**

المحور الأول: صحة الاعتقاد

١ - الإقرار بالوحدانية:

- أنْ نقرّ بوحدانية الله ﷻ، ونؤمن بالله وبأسمائه وبصفاته، ونشهد أنْ لا إله إلا الله شهادةَ حقّ.
- أنْ نحبّ الله حبّاً جمّاً، ونراقبه في سرّنا وجهرنا، مُستشعرين عظمته وعلمه بحركاتنا وسكناتنا.
- أنْ نتوكّل على الله، ونعتمد عليه، ونفوّض الأمر إليه، ونثق بعدله وقضائه، ونحسن الظنّ به.
- أنْ نذكر الله سبحانه ونستغفره، ونجعل صمتَنا فكراً، ونطقَنا ذكراً، ونظرَنا عِبَراً.

قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ [محمد: ١٩].

٢ - الإقرار بالرسالة:

- أنْ نقرّ برسالة محمّد ﷺ، ونشهد أنّه عبدُ الله ورسوله، وخاتم الأنبياء الرُّسل.
- أنْ نحبّ رسولَ الله حبّاً أشدّ من حبّ الولد والوالد والناس أجمعين.
- أنْ نجعل رسولَ الله أسوتنا الحسنة، ونتابعه في سيرته، ونأخذ ما جاء به، وننتهي عمّا نهى.

قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ ﴾ [الحشر: ٧].

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ». (رواه مسلم)

٣ - الرّضا بدين الإسلام:

- أنْ نؤمن بأنَّ الإسلام هو دين الله القويم، وأنَّ ما عداه من الأديان باطل.

- أنْ نؤمن بأنَّ الإسلام عقيدة وشريعة، وأنّه صالح لكلّ زمان ومكان، وأنّه للناس كافّة.
- أنْ نجعل حياتنا ومعيشتنا للإسلام، ونرضى به، ولا نرتاب في شيء منه أبداً.
- أنْ نؤمن بأنَّ المستقبل للإسلام، وأنّه غالب غير مغلوب، وأنّ أهله هم أهل الحقّ.

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

٤ - فقه غاية الحياة والموت:

- أنْ نؤمن بأنَّ الله تعالى لم يخلق الكون عبثاً، ولا لعباً ولا باطلاً.
- أنْ نؤمن بأنَّ الله تعالى خلق الموت والحياة للابتلاء، وأنّ الدُّنيا زائلة، والآخرة باقية.
- أنْ نؤمن بأنَّ الغاية من وجودنا ووجود الإنس والجنّ هي معرفة الله وعبادته.

قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١ - ٢].

٥ - الإيمان بالملائكة:

- أنْ نؤمن بأنّهم عباد الله مخلوقون من نور، وأنّهم في عالم الغيب الذي لا يُدرك إلا بالوحي.
- أنْ نؤمن بأنّهم مُنزّهون عن الآثام والخطايا، لا يأكلون، ولا ينامون، ولا

يتناسلون.

- أنْ نؤمن بأنَّهم يثبّتون المؤمنين، ويدعون لهـم، ويحضـرون الصّـلاة ومجـالس الذّكر.
- أنْ نؤمن بأنَّ لهم أعمالاً يقومون بها كالتسـبيح، والنُّـزول بـالوحي، وقَـبْض الأرواح.

قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر: ١].

٦ - الإيمان بالكتب:

- أنْ نؤمن بالكتب السّماوية، وبما أوحى الله إلى أنبيائه ورسله.
- أنْ نؤمن بصحف إبراهيم وموسى، والتوراة، والإنجيل، والزَّبور، والقرآن.
- أنْ نؤمن بأنَّ اليهود والنصارى قد حرّفوا التوراة والإنجيل، وبدّلوا كلام الله.
- أنْ نؤمن بأنَّ القرآن هو كلام الله المعجز المتعبّد بتلاوتـه، وأنّـه آخـر الكتـب السّماوية.
- أنْ نؤمن بأنَّ القرآن هو دسـتور الحيـاة السَّـعيدة، وأنّـه جـاء لهدايـة النـاس أجمعين.
- أنْ نؤمن بأنَّ الله تعالى قد حفظَ القرآن من التحريف والتبـديل، وأنّـه خلّـده ويسّره للذكر.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

٧ - الإيمان بالرُّسل:

- أنْ نؤمن برسل الله وأنبيائه جميعِهم، ولا نفرّق بين أحد منهم.

- أنْ نؤمن بأنّهم رجال من البشر، وأنّهم عباد الله المعصومون عن الخطأ في تبليغ الرّسالة.
- أنْ نؤمن بالآيات والمعجزات التي أيّد الله بها رسله وأنبياءه ما نعلمُ منها وما لا نعلم.
- أنْ نؤمن بأنّ الكتب السَّماوية المُنْزلة على الرُّسل قد بشّرت بنبوّة محمّد ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفرقان: ٢٠].

٨ - الإيمان بالقدر:

- أنْ نؤمن بالقدر خيره وشره إيماناً صادقاً.
- أنْ نؤمن بأنَّ الله تعالى هو مالك الملك، المتصرّف في الخَلْق، وأنَّ بيده النفع والضّرر، والرّحمة والعذاب، وأنّه لا يُسأل عمّا يفعل، وهم يسألون، وأنّه عَدْل في قضائه وقدره.
- أنْ نؤمن بأنّ الله تعالى خلقَ كلَّ شيء بقدر، وجعل الكون نظاماً محكماً ترتبط فيه الأسبابُ بالمسبّبات، وأنّه حكيمٌ في تصرّفه وتدبيره.
- أنْ نؤمن بأنّ الإنسان يكسبُ الخير والشر باختياره ومشيئته، وأنّه يُوقع الخير بتوفيق الله، ولا يوقع الشرّ جبراً عن الله ﷻ.
- أنْ نؤمن بأنَّ أجلَ الإنسان محدود ورزقه معلوم، وأنَّ الإيمان بالقدر يدعو إلى السَّعي والعمل.
- أنْ نؤمن بأنَّ الخوض في حقيقة القدر منهيٌّ عنه؛ إذ لا يحيط بسرّه إلا الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

٩ - الإيمان باليوم الآخر:

- أنْ نؤمن باليوم الآخر إيماناً يقينياً لا شكَّ فيه كما جاء في القرآن الكريم والسّنة الشريفة.
- أنْ نؤمن بأنَّ الرُّوح من أمر ربّنا سبحانه، وأنَّ عقولنا وعلومنا عاجزة عن إدراك سرّها.
- أنْ نؤمن بأنَّ كلَّ نفس ذائقة الموت، وأنَّ لكلّ واحد منّا أجلاً مسمّى، وسنموت جميعاً.
- أنْ نؤمن بأنَّ القبر أول منازل الآخرة، وأننا سنسأل فيه عن ربّنا وديننا ورسولنا.
- أنْ نؤمن بأشراط السَّاعة وعلاماتها الصّغرى والكبرى، وأنّها آتيةٌ لا ريبَ فيها.
- أنْ نؤمن بأنَّ الحياة الدُّنيا تنتهي بالقيامة؛ إذ يُنفخ في الصُّور، ويدمّر الكون كلّه.
- أنْ نؤمن بأنَّ الله تعالى يبعث الخلائق جميعاً بعد نفخة البعث، ويحيي العظام وهي رميم.
- أنْ نؤمن بأنَّ الله تعالى يحشر الخلائق بعد البعث حُفاةً عراةً، وأنَّ لرسول الله حوضاً.

- أنْ نؤمن بأنَّ الله سبحانه يحاسب الخلائق على نيّاتهم وأعمالهم، ولا يظلمُ مثقال ذرة.
- أنْ نؤمن بأنَّ الخلائق يمرّون على الصراط المضروب بين ظهري جهنّم.
- أنْ نؤمن بأنَّ الجنّة هي مأوى المتقين الذين آمنوا وعملوا الصَّالحات، وأنَّ نعيمها أبديّ دائم.
- أنْ نؤمن بأنَّ النار هي مثوى الكافرين والمجرمين، وأنَّ عليها ملائكة غلاظاً شداداً.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٨].

المحور الثاني: إخلاص العبادة

١- العناية بالطهارة:

- أنْ نحرص على العناية الفائقة بالطّهارة وذلك من حيث: نظافة الجسم والثياب، والاغتسال من الجنابة والأوساخ، واستعمال السّواك، وتنظيف الشَّعر، والتطيّب بالمسك، وغسل اليدين.
- أنْ نلتزم بآداب قضاء الحاجة، ونتجنّب النجاسة ونتنزّه عنها.
- أنْ نراعي أحكام الوضوء، ونعرف فضله في النظافة، وتكفير الخطايا، ورفع الدَّرجات، وأنْ نحسن الوضوء، ونسبغه على المكاره، ونجدّده لكلّ صلاة.

- أنْ نتعلّم من الطَّهارة أسرارها وحكمها ومن ذلك: أنْ نكون نظيفين طاهرين في سلوكنا وأخلاقنا، وعقولنا وقلوبنا، وألسنتنا وفروجنا، وأنْ نحافظ على بيوتنا وبيئتنا جميلة نظيفةً من الأوساخ والرّوائح الكريهة، وأنْ نقدّر نعمة الماء، ونكافح مصادر التلوث، والأوبئة المعدية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «الْفِطْرَةُ خَمْسٌ – أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ – الْخِتَانُ، وَالاِسْتِحْدَادُ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ». (متّفق عليه)

٢- المحافظة على الصلاة:

- أنْ نواظب على الصَّلاة في أوقاتها، ونفقه أحكامها، ونعرف فضلها، وعاقبة تاركها.
- أنْ نحافظ على صلاة الجماعة، ونراعي آداب المسجد.
- أنْ نحرص على أداء صلاتنا بخشوع وخضوع.
- أنْ نتعلّم من الصَّلاة أسرارها وحكمها ومن ذلك: أنْ نعظّم خالقنا، ونعمّق معاني التوحيد في قلوبنا، ونهذّب أرواحنا ممّا علقَ بها من مغريات الحياة وشواغلها، ونهذّب أخلاقنا بالانتهاء عن الفحشاء والمنكر، والتجمّل بالمكارم، ونراعي الدقة والنظام والانتفاع من الوقت، ونحرص على العناية برياضة عقولنا وأجسامنا.

قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

سَأَل أحـدُ الصّـحابة الكـرام النَّبِـيَّ ﷺ: "أَيُّ الْعَمَـلِ أَحَـبُّ إِلَـى اللَّـهِ؟ قَـالَ: «الصَّلاة عَلَى وَقْتِهَا». (رواه البخاري)

٣- إيتاء الزَّكاة:

- أنْ نؤدّي زكاة أموالنا، ونفقه أحكامها، ونعرف فضلها، وعاقبة مانعها.
- أنْ نخرج زكاة أموالنا عند وجوبها، وبالمقادير التي حدّدها الشَّرع، ونضعها في مصاريفها.
- أنْ نخرج زكاتنا من أحَلِّ مالنا وأحبّه إلينا بنيةٍ خالصـة لله، وصـدر منشـرح، ونفس راضية.
- أنْ لا نفسد زكاتنا وصدقاتنا بالمنّ والأذى، والرِّياء والاستعراض.
- أنْ نتعلّم من الزَّكاة أسرارها وحكمها ومن ذلك: أنْ نعظّم حقّ الله تعالى في أموالنا، ونطهّر نفوسنا من البخل والشحّ، ونحرّرهـا مـن الحسَـد والبغضـاء، وندرّبها على البذل والإنفاق، ونتغلّب على مطامعها في حبّ المال وجمعه.

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

عن جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قال: "بَايَعْـتُ النَّبِـيَّ ﷺ عَلَـى إِقَـامِ الصَّـلاة، وَإِيتَـاءِ الزَّكاة، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ". (رواه البخاري)

٤ – صوم رمضان:

- أنْ نصوم رمضان إيماناً واحتساباً، ونفقه أحكام الصَّوم، ونعرف حكم مُنكره والمفطر فيه.
- أنْ نحرص على الالتزام بآداب الصيام.

- أنْ نجتهـد في التعبّـد بحمـاس ونشـاط: نصـلّي التراويـح، ونقـرأ القـرآن، ونعتكف.
- أنْ نتعلّم من الصيام أسراره وحكمه ومن ذلك: أنْ نعمّق التقوى في نفوسنا، وندرّبها على الصبر والتحمّل، والحِلْـم والصّـمت، والقناعـة والزُّهـد، وأنْ نهذّب جوارحنا، ونربّيها على العفة، وأنْ نحسّ بآلام المحرومين، ونفرح بأداء الطاعة.

قـال تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَـاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». (رواه البخاري)

٥- حجّ البيت:

- أنْ نؤدي مناسك الحجّ أحسنَ أداء، ونفقه أحكامه، ونعرف مَنْزلته وفضله.
- أنْ نحرص على أداء العمرة في رمضان، وفي غيره من الأوقات.
- أنْ نحرص على زيارة المسجد النبويّ، والسَّلام على رسول الله ﷺ.
- أنْ نتعلّم من الحجّ أسراره وحكمه ومن ذلك: أنْ نخلص حجّنا وعمرتنا لله، ونتحرّر من الآثام، ونجاهد الشيطان، وننتصر عليـه، ونـدرّب نفوسـنا علـى البساطة والخشونة، ونتذكّر يـوم الحشـر، ونستشـعر المسـاواة والوحـدة مـع المسـلمين في مشـارق الأرض ومغاربهـا، ونعـيش ذكريـات الـدّعوة الأولى، وبطولات الصّحابة الكرام ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

عن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». (متفق عليه)

المحور الثالث: فقه العمل والمعاملات

١ - مراعاة قواعد العمل:

- أنْ نجد لنا أعمالاً ننتفع منها، ونسعى إلى تعلّم المهن والحرف.
- أنْ تكون أعمالُنا في الحلال المباح، ليس فيها حرام، ولا ضرر، ولا فساد.
- أنْ نؤدّي أعمالنا بكفاءة وإبداع وإتقان.
- أنْ نلتزم بالمواعيد والأوقات المحدّدة للدوام.
- أنْ نطيع المسؤولين في غير معصية الله، ودون نفاق أو تملّق.
- أنْ نحترم العاملين معنا، ونشيع المودّة بينهم في محيط العمل.
- أنْ نحافظ على نظام العمل والمصلحة العامة.
- أنْ نعتمد مبدأ الحرية المسؤولة في الرّأي والعمل.
- أنْ نعامل الناس والمراجعين معاملةً حسنة.
- أنْ يفقه كلّ منا ما يتعلّق بمهنته من أحكام كالتاجر، والقاضي، والسّائق، والطبيب.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾
[الملك: ١٥].

عَنِ الْمِقْدَامِ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِـنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَـدِهِ».
(رواه البخاري)

٢- مراعاة قواعد التعامل بالمال:

- أنْ نكتسب المال من حلال، وننفقه في حلال.
- أنْ نتبيّن أنواع الكسب المشروع لكي لا نقـع في الحـرام أو الشّـبهات، ومـن الكسب المشروع: الاشتغال بالحرف والمهن، والهدايا، والوصـايا، وتعـويض الخسائر، والإرث، وعقود الملكية كالبيع.
- أنْ نتبيّن أنواع الكسب غير المشروع لكي نتجنّبها، ومن ذلك: التعامل بالرّبـا في شتى صوره، والقمار والميسر واليانصـيب، والغـشّ، والسّـرقة، والاتجـار بالمحرّمات كالخمور والمخدّرات.
- أنْ نتعامل بالمال على أنّه أمانة لله في أيدينا، وأننا مُستخلفون فيه، وأنّه وسيلة تعين على عبادة الله، وإعمار الأرض، وتواصل الناس، وليس غاية في ذاته.
- أنْ ننمّي أموالنا، ونستثمرها في الحلال، وفي خدمة بلداننا وأمّتنا.
- أنْ نؤدي حقّ الله في أموالنا من زكاة وصدقة، وننفق منها في سبيل الله علـى الفقراء والمحتاجين، وطلبة العلم، وبناء بيوت الله، وبناء المـدارس، والمشـافي، وإنشاء المكتبات، وتعبيد الطرق، ومساعدة المزارعين.
- أنْ نحذر ما يجرّ إليـه المـال مـن غوائـل وآفـات مثـل: الإسـراف، والتقـتير، والانغماس في الشّـهوات، وزيـادة البـذخ، وتضـيع الواجبـات والأوقـات، واللهو عن ذكر الله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ [التغابن: ١٥].

عن حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ ﷺ قَالَ: "سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِى، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِى، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِى، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ كَالَّذِى يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى». (رواه البخاري)

٣- فقه الأسرة المسلمة:

- أنْ نتبيّن حكم مشروعية الزَّواج كإشباع الغريزة في أحسن وضع طبيعيّ، وإنجاب الأولاد، وإشباع غريزة الأبوة والأمومة، والمحافظة على النوع الإنساني، ومعرفة الأنساب.
- أنْ نقوم بتكاليف الحياة الزوجية خير قيام، مراعين المسؤولية الكبيرة في القوامة، والتنشئة الصّالحة، والحقوق الزوجية، ورعاية الأولاد.
- أنْ نفقه الأحكام المتعلّقة بالأسرة المسلمة كالطّلاق، والخلع، والإيلاء، والظِّهار، واللعان، والعدّة، والنفقة، والحضانة، والمواريث.

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ﴾ [النحل: ٧٢].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». (متفق عليه)

٤- مسؤولية الدَّعوة والجهاد:

- أنْ نعتقد مُوقنين بأنَّ الدَّعوة مسؤولية كلّ مسلم لإعلاء كلمة الله، ونشر العَدْل، ودفع الظّلم، وإعمار الأرض بشريعة الله ﷻ.
- أنْ تكون دعوتنا ابتغاء مرضاة الله، وليست لمغنم دنيوي، أو مصلحة عاجلة.
- أنْ تكون دعوتنا على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة.
- أنْ نتمثّل ما ندعو إليه الناس من الإيمان اليقينيّ، والخلق الكريم، والفعل الحميد.
- أنْ نكون قدوة صالحة، ونموذجاً ممتازاً لمن ندعوهم، فلا ندعو إلى خير ونخالفه، أو ننهى عن منكر ونأتيه.
- أنْ نحرص على الاستزادة من الثقافة في مختلف العلوم والآداب، ونجتهد في تعلّم لغة أخرى.
- أنْ نصبر على ما نلقى في طريق الدَّعوة من أذى وإعراض، وسباب وتعنيف، وسخرية واتّهام.
- أنْ نجاهد في سبيل الله حقّ الجهاد: باللسان والقلم والمال والنفس، وذلك لإعلاء كلمة الله، والدفاع عن الأمّة المسلمة، والحفاظ على أراضيها وحرماتها ومنجزاتها.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجُرات: ١٥].

وعن هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: دُلَّنِى عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ. قَالَ: «لاَ أَجِدُهُ - قَالَ - هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلاَ تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلاَ تُفْطِرَ». قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ فَرَسَ الْمُجَاهِدِ لَيَسْتَنُّ فِى طِوَلِهِ فَيُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتٍ. (رواه البخاري)

المحور الرّابع: سلامة الخُلُق والأدب

١ - التحلّي بالأخلاق الفاضلة:

أ. خُلُق الإحسان:

- أنْ نتحلّى بخلق الإحسان الذي يعني أنْ نعبد الله في يقظة كاملة، ونشاط تام، ونستشعر مراقبته سبحانه، وأنّه مطّلعٌ علينا، وناظرٌ إلينا.
- أنْ نحسن إلى الوالدين، والأقربين، والجيران، واليتامى، والخدم.
- أنْ نحسن إلى الحيوان، ونرعى حقّه، فلا نؤذيه، ولا نحمّله فوق ما يطيق.
- أنْ نحسن إلى النبات، فنعتني به، ونحافظ على نمائه، ولا نعتدي عليه بالتقطيع والتكسير.
- أنْ نحسن إلى الناس بتهذّيب نفوسنا عند مخاطبتهم بانتقاء العبارات الحسنة، والألفاظ الطيبة.
- أنْ نحسن أعمالنا بإتقانها، وتخليصها من الغشّ والرِّياء.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ ﴾ [النساء: ٣٦].

ب. خُلق العَدْل:

- أنْ نعدل في معتقدنا، فلا نقول إلا الحقّ، ولا نثني على ظالم، ولا نحابي ولا نجامل.
- أنْ نعدل في أقوالنا، فنقول الصّدق، ولو كان ذا قربى، ولا نشهد الزُّور.
- أنْ نعدل في أحكامنا بين الناس، فنعطي كلَّ ذي حقّ حقّه.
- أنْ نعدل بين الأهل، والزَّوجات، والأولاد.

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

ج. خُلق الحياء:

- أنْ نستحيي من الله، فنحفظ الرَّأس وما وعى، والبطن وما حوى، ونذكر الموت والبلى.
- أنْ نتجنّب البذاءة والوقاحة وفحش القول.
- أنْ نغضّ أبصارنا، ونستر عوراتنا، ونأمر أهلنا بالعفّة والاحتشام.
- أنْ نكون جريئين في الحقّ غير خجولين.

جاء في الحديث الصّحيح أنَّ النَّبِىّ ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يَعِظُ أَخَاهُ فِى الْحَيَاءِ فَقَالَ: «الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ». (رواه مسلم)

د. خُلق الكرم:

- أنْ نكثر من الإنفاق والبذل والتصدّق في سبيل الله.
- أنْ ننفق على عائلاتنا وأهلنا وأولادنا، ونوسّع عليهم من غير إسراف ولا تقتير.

- أنْ نكرم ضيوفنا، ونهدي إلى جيراننا، وندعو الأتقياء إلى طعامنا.

- أنْ نطهّر نفوسنا من البخل والشّح والحرص على كَنْز المال.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً». (متفق عليه)

هـ. خُلق الصبر:

- أنْ نصبر على ما نُؤذى به في ذات الله، ونتحمّل ما نلقى من اتهام وإهانة.
- أنْ نصبر على أذى الناس: أذى الأقارب، والجيران، وزملاء العمل.
- أنْ نصبر على المصائب وشدائد الدَّهر مثل الخوف والجوع ونقص المال.
- أنْ نصبر على موت الأحبة ومفارقة فلذات الأكباد، فلا نجزع ولا نسخط.
- أنْ نصبر على مقاومة الشّهوات والمثيرات.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

[آل عمران: ٢٠٠].

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ أَنَّ نَاساً مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِى مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِىَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ». (رواه البخاري)

والأخلاق الفاضلة كثيرة متشعّبة، وهي منظومة واحدة إذا تحلّى الإنسان بخُلق واحد منها تداعت إليه بقيتُها، واستوطنتْ نفسه.

ومن أهمّ الأخلاق العظمى في الإسلام: خلق الصّدق، والأمانة، والتواضع، والرّفق، والرَّحمة، والحِلْم، والإيثار، والعزّة، والفِطْنة، والشُّكر.

٢- التخلّي عن الرّذائل والأخلاق الذّميمة:

أ. التكبّر:

- أن لا نختال في مشيتنا، ولا نلوي أعناقنا، ولا نصعّر خدودنا.
- أن لا نتقعّر في حديثنا، ولا نتشدّق، ولا نثرثر.
- أن لا نُسبل إزارنا بنية الاختيال والاستعراض.
- أن لا نحرص على سعي الناس إلينا، والمثول أمامنا، وهم قيام.
- أن لا نتقدّم على غيرنا في المشي أو الحديث أو المجلس.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨].

عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخُزَاعِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ» . (متفق عليه)

ب. الرِّياء:

- أن لا نقصد بعملنا الناس؛ لنحصل على الحظوة بينهم، ونحظى بالمنْزلة في قلوبهم.
- أن لا نزيد في الطاعة إذا مُدحنا، ولا ننقص منها إذا ذممنا، أو عيب علينا فيها.
- أن لا نتصدّق أمام الناس بنية الشُّهرة والظُّهور.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ

قَامُوٓاْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ١٤٢].

عن جُنْدَب بن عبد الله ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِى يُرَائِى اللَّهُ بِهِ». (متفق عليه)

ج. الحسَد:

- أن لا نتمنى زوال النعمة عن غيرنا لتحصل لنا، فلا نتمنى زوال نعمة المال، أو نعمة العلم، أو نعمة الجاه، أو نعمة الصّحة والعافية، لا نتمنى زوال أيّ منها عن أحد.
- أن نقول "ما شاءَ الله لا قوّةَ إلا بالله" إذا أعجبنا شيء.
- أن لا نستكثر ما عند الناس من مال ومتاع وأولاد ومشاريع.
- أنْ نرضى بما قسمَ الله لنا، ففي قسمة الله الخير كلّ الخير.

قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلَق: ٥].

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لاَ حَسَدَ إِلاَ عَلَى اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهْوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ». (متفق عليه)

وهناك أخلاق ذميمة كثيرة وكبائر خطيرة يجب على العبد الطائع لله أنْ يتخلّى عنها، ولا يفسح لها أيّ مساحة في نفسه وحياته، **ومن تلك الأخلاق والكبائر**: الشِّرك بالله، والظلم والبغي، والعُجب والغرور، والغشّ، والكذب، والإسراف، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، والزّنا، وأكل الرّبا، وقذف المحصنات، وشهادة الزُّور، وشرب الخمر وتعاطي المخدّرات، والسَّرقة، والسّحر والشَّعوذة.

٣- التأدّب بالآداب الإسلامية السامية:

أ. الأدب مع الله عزّ وجلّ:

- أنْ نخلص نيّاتنا لله ﷻ، ونبتغي وجهه وحده، فلا نرائي، ولا ننافق.

- أنْ تمتلئ قلوبنا مهابةً من الله ﷻ، ونخجل من معصيتنا لـه، ونسـتحيي مـن مخالفته سبحانه.

- أنْ نحبّ الله ﷻ حبّاً أشدّ من حبّ النفس والأهل والمال.

- أنْ نشكر الله ﷻ على نعمه، ونثني عليه بما هـو أهلـه، وهـو أهـل الحمـد والمجد.

- أنْ نفوّض أمورنا إلى الله ﷻ، ونتوكّل عليه، ولا نستعين إلا به.

قـال تعـالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ب. الأدب مع القرآن الكريم:

- أنْ نقرأ القرآن على وضوء وطهارة، وننظّف أفواهنا بالسّواك وغـيره قبيـل القراءة.

- أنْ نقرأ القرآن في مكان نظيف، ونستقبل القبلة، ونستعيذ بالله من الشّـيطان الرَّجيم.

- أنْ نراعي أحكام التجويد، ونحسّن أصواتنا بقراءة القرآن.

- أنْ نتدبّر ما نقرأ بخشوع وحضور قلب.

- أنْ نواظب على قراءة القرآن، ونتعاهده، ونقرأ كلَّ يوم جزءاً منه.

قـال تعـالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

عَنْ عُثْمَانَ ﷺ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ». (رواه البخاري)

ج. الأدب مع الرَّسول ﷺ:

- أنْ نُجلّ اسم النبيّ ﷺ، ونوقّره عندما يُذكر، ونُصلّي عليه.

- أنْ نحبّه حبّاً جمّاً، ونؤثره عل النفس والأهل والمال والولد.

- أنْ نتأدّب مع أهل بيته الأطهار، وأصحابه الأبرار، رضوان الله عليهم أجمعين.

- أنْ نحفظ ما استطعنا من أحاديثه، ونتدبّرها ونعمل بها.

- أنْ نعمل على إحياء سُنّته، وإبلاغ دعوته، وإنفاذ وصاياه.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجُرات: ٢].

د. الأدب مع الوالدين:

- أنْ نوقّر والدينا، ونعظّم شأنهما، ونخفض لهما جناح الذّل من الرَّحمة.

- أنْ نخاطبهما بأدب جمّ، ونتلطّف بهما، ولا نقول لهما أُفّ، ولا ننهرهما.

- أنْ ننفق عليهما، ونساعدهما في أعمالهما، ونخدمهما، ونكثر من زيارتهما.

- أنْ نطيعهما دائماً في غير معصية الله، ونشاورهما في أعمالنا كلّها.

- أنْ ندعو لهما في حياتهما وموتهما بالخير والرَّحمة والمغفرة، ونبرّهما، ونحسن إليهما.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

هـ. الأدب مع الناس:

- أنْ نرعى حقوق أقاربنا، ونصل أرحامنا، فنوقّر كبيرهم، ونعطف على صغيرهم، ونعود مريضهم، ونهنئهم بأفراحهم، ونواسيهم في أتراحهم.
- أنْ نكرم جيراننا بزيارتهم، وإغداق الخير عليهم، والحفاظ على ممتلكاتهم، ونعينهم في قضاء حوائجهم، ونمنع عنهم أذانا، ونصبر على أذاهم.
- أنْ نحبّ أصحابنا وزملاءنا، ونحترمهم ونتفقّد أحوالهم، ونواسيهم بأموالنا، وننصح لهم.
- أنْ نتواصل مع غير المسلمين، ونفيد من علومهم واختراعاتهم، ونُسدي لهم الخير.
- أنْ نراعي ما يتصل بالناس من آداب مثل: أدب الحديث، وأدب المجلس، وأدب الزَّواج، وأدب العلم والتعلّم، وأدب السّفر، وأدب الضّيافة، وأدب عيادة المريض، وأدب زيارة القبور، وأدب البيع والشراء، وأدب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

و. الأدب مع البيئة:

- أنْ نحبّ بيئتنا، ونظهر انتماءنا لها، ونصونها من كلّ فساد وعبث.
- أنْ نعتني بالمظاهر الجماليّة فيها مثل زراعة الورود، وتجميل مداخل القرى والمدن، وتنظيم الطرق والمواقف والمباني، وتنسيق اللوحات الإرشادية والإعلانية.

- أنْ نحافظ عليها بزراعة النبات فيها، وغرس الأشجار، وحراثة الأرض، وسقي المزروعات، وتربية الحيوانات، وإنشاء المزارع.
- أنْ نتعاهد النباتات بالعناية الزّراعية الصّحيحة، فلا نقطع الأشجار، ولا نتلفها، ولا نحرقها.
- أنْ نتعاهد الحيوانات بإطعامها، وتجنيبها البرد والمطر، وتخفيف الحمل عليها، وإحسان قتل الأنعام منها.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

ز. الأدب مع النفس:

- أنْ نجمّل نفوسنا بالذوق الرّفيع، ومحاسن الكلام، ومعالي الأمور.
- أنْ نزكّي نفوسنا بذكر الله كثيراً، وبدعائه والتضرّع إليه، ونراعي أدب الذكر والدُّعاء.
- أنْ نعوّد نفوسنا على الاختلاط بالناس، والصبر على أذاهم، ونراعي أدب الخلوة والزهد.
- أنْ نحسّن مظهرنا، ونطيّب ملابسنا بالعطور الزكية، ونراعي أدب اللباس للمسلم والمسلمة.
- أنْ نأكل طعامنا من الحلال الطيب، ونرضى باليسير منه، ونراعي أدب الأكل والشرب.
- أنْ نُروّح عن نفوسنا باللهو المباح، ونعتدل في الجدّ والهزل، ونراعي أدب اللهو والتسلية.

- أنْ نخصّص لنا أوقاتاً نقوم فيها من الليل، ونستحضر عظمة الله، ونراعي أدب قيام الليل.

- أنْ نعطي نفوسنا حظّها من النوم، ونجعل نومنا عبادةً بالأذكار والأدعية، ونراعي أدب النوم.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٥].

عَنْ أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ، وَلاَ غَائِباً، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ». (متفق عليه)

الموضوعات الجامعة:

ومحاسبة النفس على الموضوعات السَّابقة ضرورة لازمة؛ لأنَّ الله جلَّ ثناؤه سيُحاسب الإنسان يوم القيامة على كلّ صغيرة وكبيرة، قال الله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٤٩].

ونظراً لكثرة شرائع الإسلام، وتشعّب الموضوعات وتعدّدها، فإنّنا نقترح التركيز على محاور جامعة شاملة، تتفرّع عنها بقية الموضوعات، وتشكّل في نهاية المطاف وحدة واحدة، وتصوّراً عامّاً يجمع أصول الإسلام وفروعه.

وقد وجدتُ بعد بحث جادّ، ودراسة مستفيضة أنَّ أوجب الواجبات في حياة المسلم أربعة، ترتكز عليها أنشطته الإيمانية والعمليّة والحضارية كافّة، ويكمّل بعضُها بعضاً.

وهذه الواجبات هي: العلم، والعمل، والعبادة، والدَّعوة.

العلم يشمل: أ. الفكر والذكر. ب. طلب العلم.

العمل يشمل: أ. الكسب الحلال. ب. رعاية الأهل.

العبادة تشمل: أ. أداء الفرائض. ب. أداء النوافل.

الدَّعوة تشمل: أ. تزكية النفس. ب. دعوة الناس.

الجدول التالي يوضّح هذه الواجبات:

الرقم	الواجب الأساسيّ	فرعه الأول	فرعه الثاني
١	**العلم**	الفكر والذكر	طلب العلم
٢	**العمل**	الكسب الحلال	رعاية الأهل
٣	**العبادة**	أداء الفرائض	أداء النوافل
٤	**الدَّعوة**	تزكية النفس	دعوة الناس

وقت المحاسبة

متى نحاسبُ أنفسَنا؟

في حَيِّنا - كما في كلّ حَيّ - تاجرٌ يذهب إلى السُّوق مُبكّراً، ويفتح دكّانه، ويقبلُ على البيع والشراء بهمّة ونشاط، وهو يَرْقُب حالة السُّوق، وحركة الرائح والغادي، ويظلّ ملازماً متجره، لا يبرحه حتى يدركه الليل، ثمّ يجمع أوراقه ودفاتره ونقوده، وينطلق إلى أهله مسروراً.

فإذا ما وصلَ إلى بيته خلا بنفسه، وأغلق عليه بابه، وشرع يدقّق ويحقّق، ويجمع ويطرح، ويضرب ويحسب؛ ليعرف ما له من ربح، وما عليه من خسارة، ثمّ يتفكّر كيف يزيد رأس المال، ويضاعف الإنتاج.

وهو إذ يفعل ذلك يكون منشغلاً عن أهله وأولاده، حريصاً على أوقاته؛ لأنّ هذه الخلوة الزمنية عونٌ له على مواصلة عملِه وكَسْبِه.

فما يكون لو غَفَلَ هذا التاجرُ عن تجارته، وتشاغلَ عن مراجعة حساباته؟

ستكون تجارته عشوائية غير منظّمة، تزيدُ فيها سِلَع، وتنقص سِلَع، فلا يعرف مقدار ربحه، ولا مقدار خسارته، وربّما ضاعت ثروته من بين يديه، وحصدَ الحسرة والندامة، واكتشف بعد فوات الأوان أنَّ مراجعة الحساب هي المؤشّر الدّال على النجاح أو الإخفاق!

وقد دلّنا الله جلَّ ثناؤه على تجارة عظيمة، ودعانا إلى العمل فيها، والسّعي إليها، واغتنام خيراتها وأجورها، ونيل نفائسها وجوائزها، وكشفَ لنا عنها فقال سبحانه في محكم التنْزيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ

﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

وهذه التجارة العظيمة تستوجب من المسلم أنْ يبذل من جهده ووقته وماله أضعاف ما تستوجبه تجارة العَرَض الزائل والحطام الخائر، وتتطلّب منه أنْ يخصّص أوقاتاً محدّدة يحاسبُ فيها نفسه كما يفعل أهلُ التجارة والصناعة وأربابُ المال.

ونحن نقترح أنْ يحاسب المسلم نفسه أربع مرات في مُدد زمنيّة محدّدة:

محاسبة يوميّة، ومحاسبة أسبوعيّة، ومحاسبة شهريّة، ومحاسبة سنويّة.

ونستمدّ هذا الاقتراح ممّا نرى من ممارسة الشعائر، فهناك عبادات يوميّة مثل الصّلوات الخمس، وعبادات أسبوعية مثل صلاة الجمعة، وعبادات شهريّة مثل صيام الأيام البيض، وعبادات سنويّة مثل صوم رمضان، وعبادات عُمريّة مثل الحجّ (مرة في العمر).

وكذا الحال في الآداب والمعاملات، فمنها ما يقع في اليوم، أو الأسبوع، أو الشّهر، أو السّنة.

أوقات المحاسبة:

أولاً- محاسبة يومية:

نستأنس لهذه المحاسبة اليوميّة بقول النبيّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّى أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ». (رواه مسلم)

متى يحاسبُ المسلم نفسه على أعمال يومه؟

يحاسبُها في آخر النهار مدّة ساعة، وليحرص على محاسبتها في خَلْوة تامة بعيداً عن المزعجات والملهيات، وما يُذكّر بالدُّنيا، ويرغّب فيها.

أو يحاسبُها بعد فريضة العشاء في المسجد؛ فإنّـه يجـد في المسـجد مـن السَّـكينة والطمأنينة ما لا يجده في غيره من الأماكن، والمساجدُ بيـوت الله، وأطهـر البقـاع في الأرض، ولن يخيب مسلم صادقٌ زارَ ربَّه في بيته، ودان نفسَهُ فيه.

أو يحاسبُها وقتَ قيام الليل، حين تنام العيون، وتهدأ الحركة، ويخيّم الصَّـمت، وليتذكّر وحشة القبور وظلمتها وضيقها، وليتذكّر أنّه لا يجـرؤ أنْ يـدنو مـن المقـابر ليلاً، ويصعب عليه أنْ يمكث بين الأموات مدّة يسيرة، فكيف إذا توفّـاه الله، وحـلَّ معهم، وصارَ منهم؟!

المهم أنْ يحاسب نفسه كلّ ليلة قبل أنْ ينام، والنوم أخو المـوت، ولا يتشـاغل عن تزكية نفسه، وتقويم مسلكه، فإنَّ مَنْ أحـبَّ شـيئاً اجتهـد عليـه، ومَـنْ شُـغِفَ بشيء أكثرَ من ذكره، ومن أضمرَ شيئاً في نفسه ظهـرَ علـى صـفحات وجهـه، وفي فلتات لسانِه!

وموضوعات المحاسبة اليوميّة هي:

١- الفكر والذّكر.

٢- الكسب الحلال.

٣- إقام الصَّلاة.

٤- تزكية النفس.

٥- أعمال اليوم الأخرى.

ثانياً- محاسبة أسبوعية:

نستأنس لهذه المحاسـبة الأسـبوعية بقـول الـنبيّ ﷺ: «خَيْـرُ يَـوْمٍ طَلَعَـتْ عَلَيْـهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيـهِ أُدْخِـلَ الْجَنَّـةَ، وَفِيـهِ أُخْـرِجَ مِنْهَـا». (رواه مسلم)

متى يحاسبُ المسلمُ نفسه على أعمال أسبوعه؟

يحاسبُ نفسه كلَّ جمعة من كلّ أسبوع قدر ساعتين، فلعله يوافق ساعةَ استجابة.

فيومُ الجمعة يومُ عيدٍ للمسلمين يجتمعون فيه ويلتقون، ويتبادلون فيه المودّات والمنافع، وينتشرون في الأرض بعد الصَّلاة يبتغون من فضل الله.

والأجدرُ بالمسلم أنْ يزيد في الطاعة، ويسارع في الخيرات، ويحاسب نفسه في هذا اليوم المبارك الذي تُكفّر فيه الذنوب إلى الأسبوع الذي يليه.

وموضوعات المحاسبة الأسبوعية هي:

١- طلب العلم.

٢- رعاية الأهل.

٣- أداء النوافل.

٤- دعوة الناس.

٥- أعمال الأسبوع الأخرى.

ثالثاً- محاسبة شهرية:

نستأنس لهذه المحاسبة الشهرية بقول الله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وذلك أنَّ الصيام عبادة تتكرّر بمطلع هلال رمضان، وهذا يدعو المسلم إلى محاسبة نفسه آخرَ كلّ شهر على ما كان منه طوال شهره المنصرم.

متى يحاسبُ المسلمُ نفسه على أعمال شهرِهِ الفائت؟

يحاسب نفسه في آخر ليلة من الشهر، قدر ثلاث ساعات، يفتّش فيها عن دسائس نفسه ونفائسها، عسى الله جلَّ ثناؤه أنْ يغفر له ذنوبه، ويؤتي نفسه تقواها.

وموضوعات المحاسبة الشهرية هي:

١- **العلم:** أ. الفكر والذكر. ب. طلب العلم.

٢- **العمل:** أ. الكسب الحلال. ب. رعاية الأهل.

٣- **العبادة:** أ. أداء الفرائض. ب. أداء النوافل.

٤- **الدَّعوة:** أ. تزكية النفس. ب. دعوة الناس.

رابعاً- محاسبة سنوية:

نستأنس لهذه المحاسبة السنوية بقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٦].

وبقول رَسُول اللَّهِ ﷺ: "لا تزولُ قدما عبدٍ حتى يسألَ عن أربع: عن عُمرهِ فيمَ أفناه، وعن علمِه ما فعلَ فيه، وعن مالِه مِنْ أينَ اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَه، وعن جسمِه، فيمَ أبلاهُ". رواه الترمذي، (حديث صحيح، تحقيق الألباني).

متى يحاسبُ المسلمُ نفسه على أعمال سنته الماضية؟

يحاسب نفسه في آخر كلّ سنة من حياته، مدّة يوم فأكثر، ليرى ما كان من عمره الفائت وأيامه الخوالي، وما بقيَ له من الأجل، وما صنعَ من العمل، وما حقّقَ من الأمل.

ويزيد في محاسبة نفسه كلما زاد عمرُه عشر سنين، فإذا بلغ العشرين حاسب نفسه على البلوغ وزهرة الشباب، وكذا إذا بلغ ثلاثين، أو بلغ أربعين، أو بلغ خمسين، أو بلغ ستين، أو بلغ سبعين، أو بلغ ما قُدّر له من العمر.

وقد حدّثنا القرآن الكريم عن رجل صالح لمّا بلغ الأربعين جدّد توبته، وأعلن إنابته، وسأل ربّه ﷻ أن يوفّقه لشكر نعمه عليه وعلى والديه، وأن يوفّقه لعمل الصالحات، وفعل الطاعات، ويصلح له ذريته، ويتوب عليه، ويجعله من المستمسكين بالإسلام، ويتوفاه على هذا الدِّين العظيم:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

رُوي أنَّ أهل المدينة المنورة كانوا إذا بلغ أحدُهم أربعين سنة تفرّغ للعبادة، وطوى فراشه، وجدّ واجتهد، وشدّ المئزر!

وقد أشار النبيّ ﷺ إلى عمر الستين، وبيّن أنَّ مَنْ يبلغ ستين سنة، ولم يَتُبْ فليس له عذر مقبول عند الله ﷻ بعدما بلغ هذه السنين الطويلة، وأمهله الله هذه المدة:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً». (رواه البخاري)

وموضوعات المحاسبة السنوية هي:

١- العمر.

٢- العلم.

٣- المال.

٤- الجسم.

وهـي موضـوعات سَيُسـأل عنهـا الإنسـان، ويحاسـب عليهـا يـوم القيامـة، والأحسن أنْ يخصّص له أسبوعاً كاملاً في هذه المحاسبة العمرية ينظر في الإجابة عن تلك الأسئلة الأربعة، فيحصي فيها رصيده من المحاسن والمساوئ، وينظـر مـا قـدّم لغد، وما أعدَّ ليوم الرّحيل.

والجدول التالي يوضّح أوقات المحاسبة وموضوعاتها:

جدول محاسبة النفس

الرقم	الواجب الأساسي	محاسبة يومية	محاسبة أسبوعية	محاسبة شهرية	محاسبة سنوية
١	العلم	الفكر والذكر	طلب العلم	العلم	العمر
٢	العمل	الكسب الحلال	رعاية الأهل	العمل	العلم
٣	العبادة	أداء الفرائض	أداء النوافل	العبادة	المال
٤	الدَّعوة	تزكية النفس	دعوة الناس	الدَّعوة	الجسم

طريقة المحاسبة

كيف نحاسبُ أنفسَنا؟

للمحاسبة طرقٌ كثيرة متنوعة ذكرها أهلُ هذا العلم، وهي طرق متشعّبة، غير أنْ ليس فيها مُعوجّ أو مُتعرّج، بل تفضي كلّها إلى نتيجة واحدة هي وقوف المرء على نفسه وقوفَ المستبصر الحصيف، الخائف الرّاجي.

وطرقُ محاسبة النفس المذكورة ستّ:

١- المشارطة.

٢- المراقبة.

٣- المحاسبة.

٤- المعاقبة.

٥- المجاهدة.

٦- المعاتبة.

ومن أجل رفع المشقة، ودفع التشعّب، وسهولة الأخذ، فإنّنا نجعلها في ثلاث طرق رئيسة جامعة هي:

أولاً- المعاهدة.

ثانياً- المجاهدة.

ثالثاً- المحاسبة.

أولاً- المعاهدة

أهمية المعاهدة:

الأصل في المعاهدة هو قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩١].

ففي هذه الآية الكريمة أمر إلهيّ بوجوب المحافظة على العهود مع الله ﷻ، ومع رسوله ﷺ، ومع الناس، والحرص على أدائها وافيةً تامّة بعدَ جَعْل الله شاهداً عليها، وهو العليم بما يفعل الإنسان، المجازي على الأعمال.

وعلى المسلم أنْ يعاهد نفسه، ويجدّد عهوده، وإذا عاهد نفسه فقد وجب عليه الوفاء.

ومن فوائد المعاهدة أنّها تصحّح نية المعاهد لنفسه، وتوجّه إرادته وهمّته، وترغّبه في الآخرة، وتذكّره قبل أن يبتدئ بأعمال يومه، تذكّره باغتنام فرصة العمر قبل أنْ يسكنَ أطباق الثرى، ويرقد مع الأموات في عالم البَرْزَخ.

خطوات المعاهدة:

كيف يعاهدُ المسلمُ نفسه؟

الخطوة الأولى:

بعد أنْ يؤديَ صلاة الفجر يجلس بعد الفريضة مدّة خمس عشرة دقيقة، ويفرّغ قلبه لهذه المعاهدة، كما يفعل التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشَّريك العامل، فإنّه يفرّغ المجلس لمشارطته.

الخطوة الثانية:

يبدأ بحمد الله ﷻ والثناء عليه، ويدعو بما تيسّر من الأدعية المأثورة، ويقول:

الحمد لله ربّ العالمين حمداً طيباً كثيراً مباركاً، ملءَ السَّموات والأرض، وملءَ كلّ شيء، وعددَ خلقه، ومداد كلماته، وزِنَة عرشه، ورضا نفسِه.

الحمد لله الذي أحياني في هذا اليوم الجديد، وأمهلني فيه، وأنعمَ عليّ به، ولو توفاني لكنتُ أتمنى أنْ أرجع إلى الدُّنيا حتى أعمل صالحاً.

اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير مَنْ زكّاها، أنت وليّها ومولاها.

اللهم إنّي أعوذ بك من شرّ نفسي، ومن سيئات عملي.

اللهم لا تجعل الدُّنيا أكبرَ همّي، ولا مبلغَ علمي.

اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم إنّي أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم لا هادي يهديني إلا أنت، فاهدني إلى صراطك المستقيم، وإلى سواء السَّبيل.

الخطوة الثالثة:

يذكّر نفسه بعهودها مع الله ﷻ، ويشارطها على تلك العهود:

- يذكّر نفسه بعهدها مع الله جلَّ ثناؤه بالالتزام بالإسلام، واتّباع النبيّ ﷺ، فيشارط نفسه على أنْ لا يشرك بالله شيئاً، ولا يستعين إلا به، ولا يتوكّل إلا عليه، وأنْ يتّبع رسولَ الله ﷺ فيما جاء به، ويعمل بسنّته المطهّرة.
- يذكّر نفسه بالقيام بالطاعات والواجبات، فيشارط نفسه على المحافظة على الصَّلاة والصيام، والذّكر والقيام، والصّدقة وقراءة القرآن.

- يذكّر نفسه بالتحلّي بالأخلاق الفاضلة، والآداب الرفيعة، فيشارط نفسه على الإحسان إلى والديه، وصلة رحمه، وأداء حقوق الناس، وتطهير نفسه من الرِّياء والنفاق، والحقد والحسَد، والكِبْر والغرور، ويشارط نفسه على حِفْظ جوارحه وحواسّه من الوقوع في المعاصي، وارتكاب الفواحش والكبائر.

- يذكّر نفسه بالموت، وقصر الأجل، وقُرب الرَّحيل، وانقضاء العمر، وتبدّل الأحوال، فيشارط نفسه على الإكثار من ذكر هادم اللذات، ومفرّق الجماعات، وعلى أن لا يكابد الناس، أو يصارعهم على دنياهم، أو يعاديهم على حُطامها، أو يحبّهم أو يبغضهم من أجلها.

- يدعو نفسه إلى اغتنام اليوم الجديد بالطاعة، واستثمار العمر في العبادة، وإعلان التوبة من الذنوب، وطلب الرّحمة والمغفرة، فيشارط نفسه على أنْ يباشر عمله نشيطاً مخلصاً مُتقناً، ويجعل بومه الجديد كلّه في طاعة الله، ويعمل فيه كأنّه آخرُ يومٍ في حياته.

الخطوة الرابعة:

يخاطب نفسه، ويعظها، ويأخذ المواثيق عليها، ويقول:

- **يا نفس،** ما لي بضاعة إلا العُمر، فإذا فَنِي مني رأسُ المال وقع اليأسُ من التجارةِ وطَلَبِ الربح، وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه، فإيّاكِ أن تضيّعيه؛ فإنَّ كلَّ نَفَسٍ من الأنفاس جوهرة لا تقدّر بثمن.

- **يا نفس،** اعلمي أنَّ اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة، وأنّ لكلّ ساعة خِزانة، فاجتهدي في أنْ تعمري هذه الخزائن بكنوز الصّلاح والاستقامة، فهي أسباب مُلْكك.

- **يا نفس،** لا تميلي إلى الكسل والدَّعة، فيفوتكِ من درجات عليّين ما يدركُه غيرُكِ، وتبقى عندكِ حسرةٌ ما تمّحي، وألَمُ الغُبن لا يُطاق، وإنْ كان دونَ ألم

النَّار.

وهَبِي أنَّ المسيءَ قد عُفي عنه، أليس قد فاته ثوابُ المحسنين؟

- **يا نفس،** تذكّري العهد الذي تعطينه لله تعالى في كلّ صلاة، وتُعْلِنينه بين يـدي الله في التضرّع والمناجاة: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾.

أليس في هذه المناجاة إقرارٌ منكِ علـى أن لا تعبـدي إلا الله، وأن لا تسـتعيني إلا به، وعلى أنْ تلتزمي بطريق الله المستقيم؟

فحذارِ يا نفس، أن تُخِلِّي بالعهد بعدَ أنْ جعلتِ الله عليكِ رقيبـاً، وحـذارِ أنْ تتنكّبي عن الصّراط، بعدَ أنْ جعلتِ الله عليكِ شهيداً، وحـذارِ أنْ تتبعـي الضَّـلال وأهله بعدَ أن جعلتِ الله عليكِ كفيلاً.

- **يـا نفـس،** اعلمـي أنَّ أعضـاءَكِ السـبعة: العـين، والأذن، واللسـان، واليـد، والرِّجل، والبطن، والفَرْج، هي رعايا خادمـة لـكِ في هـذه التجـارة الكـبيرة، وأعلمي أنَّ لجهنّم سبعةَ أبواب على عدد هذه الأعضـاء، **فـاحفظي** أعضـاءكِ من المعاصي، ولا تُلقي بها إلى نار جهنم:

احفظي العين من النظر إلى المحرّمات والعورات، أو النظـر إلى المسـلم الطـائع بعين الاحتقار، أو النظر إلى الفضول، واجعليها تنظـر إلى عجائـب صـنع الله بعـين الاعتبار.

احفظي الأذن من الاستماع إلى المحرّمـات ولهـو الحـديث، والغنـاء والطـرب، والرّقص واللعب، واجعليها تستمع إلى العلم النافع، والذّكر الخاشع.

احفظي اللسان من الآفات المهلكة، من الكذب، والغيبـة، والنميمـة، ومذمّـة الخلق، وقول الزُّور، واجعليه عضواً فاعلاً في الدَّعوة إلى الله، وقول الحقّ، واجعلي نُطْقه ذكراً، وصَمْتَه فكراً.

احفظي اليد من السّرقة والنهب، والظلم والبطش، واستخدميها في عمل الخير، وإعطاء الصدقة، والكتابة النافعة، ومنع الاعتداء.

احفظي الرِّجل من السّعي إلى المحرّمات والشّهوات والشّبهات، وامنعيها من مخالطة السّفهاء، ومماشاة الفُجّار، واجعلي سعيها لوجه الله في طلب العلم، وتبليغ الدَّعوة، وإصلاح ذات البين.

احفظي البطن من الشّره والطمع، وكثرة الأكل، وامنعيه من الحرام والرّبا والسُّحت.

احفظي الفَرْج من فاحشة الزِّنا، ومقارفة الإثم، واجعليه عفيفاً محفوظاً عن الدَّنس والرّجس.

يا نفسُ توبي فإنَّ الموتَ قد حانا ... واعصي الهوى فالهوى ما زال فتّانا

في كلّ يومٍ لنا مَيْتٌ نشيّعُه ... نطوي بمصرعِه آثارَ موتانا

يا نفسُ مالي وللأموالِ أجمعها ... خلفي وأخرجُ من دنياي عُرْيانا!

الخلاصة:

أنَّ المعاهدة هي إلزام النفس بالوفاء بالعهد، ومشارطتها على ذلك. وأنَّ خطواتها أربع:

الأولى: الجلوس بعد فريضة الفجر مدّة ربع ساعة، وتفريغ القلب لها.

الثانية: البدء بحمد الله تعالى والثناء عليه، والدُّعاء بما تيسّر من الأدعية المأثورة.

الثالثة: تذكير النفس بعهودها مع الله تعالى، ومشارطتها على تلك العهود:

- الالتزام بالإسلام.

- القيام بالطاعات والواجبات.
- التحلّي بالخلق الكريم والأدب الجمّ.
- ذكر الموت وقصر الأجل.
- دعوة النفس إلى اغتنام اليوم الجديد.
- وضع مخطّط لأعمال اليوم.

الرابعة: مخاطبة النفس، ووعظها، وأخذ المواثيق عليها.

ثانياً - المجاهدة

معنى المجاهدة:

الأصل في المجاهدة هو قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ففي هذه الآية الكريمة دعوة من الله تبارك تعالى إلى مجاهدة النفس ابتغاء مرضاته، لجعل هذه النفس في صفوف المحسنين.

كما تقرّر الآية الكريمة أنَّ الطريق إلى هداية الله لا تكون إلا بهذه المجاهدة، وأنَّ المجاهدة تسمو بالعبد حتى ترفعه إلى درجات المحسنين، وتجعله من ورثة جنّة النعيم.

ومعنى المجاهدة هو: حَمْل النفس على الطاعة باجتهاد وعزم ونشاط، وحَمْلها على اجتناب المعصية بقوة وصبر ومثابرة.

ووقت المجاهدة يستغرق اليوم كلّه من الفجر حتى العشاء، ويستغرق عمر الإنسان كلّه: ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاء، ويستغرق أطوار الإنسان في عمره: صغيراً وكبيراً، وشابّاً وشيخاً، ويستغرق أحوال الإنسان: صحيحاً وسقيماً، وموظّفاً ومتقاعداً.

مصابيح المجاهدة:

كيف يجاهدُ المسلمُ نفسه؟

لا بدّ أنْ يستهدي في مجاهدة نفسه بمصباحين مهمّين، لا غنى له عنهما:

المصباح الأول: العلم:

فالعلمُ الصّحيح يؤدي إلى الاعتقـاد الصّـحيح، والعبـادة الصّـحيحة، وينتـزع غشاوة الجهل عن النفس، ويفتح نوافذ الفكر، ويقود القلـب إلى العمـل الصـالح، ويوصل إلى الجنّة.

قال تعـالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

[المجادلة: ١١].

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَنْ سَـلَكَ طَرِيقـاً يَلْـتَمِسُ فِيـهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ». (رواه مسلم)

ومن أوجب العلوم الـتي فيهـا صـلاحُ الإنسـان في دنيـاه وآخرتـه هـو العلـم بكمالات النفس وعيوبها، ومعرفة أغذية القلـب النافعـة، وسمومـه القاتلـة، ومـن ذلك:

١) أنْ يجلسَ إلى العلمـاء الأخيـار الـذي زَكَـتْ نفوسُـهم، وحُمِـدَتْ سـيرتُهم؛ ليتعلّم منهم الاستبصار بعيوب نفسه، ومقارعة آفاتها.

٢) أنْ يطلب الصّاحب التقي الصَّدوق؛ ليجعله رقيباً على تصـرّفاته، وملاحظـاً على أفعاله.

٣) أنْ يخالط الناس، فيرى مـن عيـوب غـيره عيـوبَ نفسـه، ويعلـم أنَّ الطِّبـاع متقاربة في اتباع الهوى، وأنَّ عليه أنْ ينتقد نفسه من كلّ ما يذّمه من غيره.

٤) أنْ يستفيد من ألسـنة خصـومه وشـانئيه في معرفـة عيـوب نفسـه؛ لأنَّ عـينَ السّخط تُبدي المسـاوئ، علـى الـرّغم مـن أنّ الطبـع مجبـولٌ علـى تكـذيب الخصوم، وحَمْل ما يقولونه على الحَسَد والعداوة، ولكنّ العاقـل البصـير لا يخلو من الانتفاع من كلّ ما يُقال عنه.

٥) أنْ يعرف أسباب حياة القلب وأغذيته النافعة، ومـن ذلـك: ذكـر الله تعـالى، وتلاوة القرآن، وملازمة الاستغفار، وكثرة الـدُّعاء، وقيـام الليـل، والصَّـلاة على النبيّ ﷺ.

٦) أنْ يعرف سمُوم القلب، ومن ذلك: فضول الكلام، وفضول النظر، وفضول الطعام، وفضول المخالطة.

المصباح الثاني: الذّكر:

فالذّكر الكثير يشحن القلب بالإيمان، ويملأ النفس طمأنينـة وسـكينة، ويهيـئ للروح أسباب الصّفاء، ويمنح العقل معـارجَ للتأمّـل والتفكّـر، ويصـل العبـد بربّـه أعظمَ صلة:

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَنْ سَـلَكَ طَرِيقـاً يَلْـتَمِسُ فِيـهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِـيَتْهُمُ الرَّحْمَـةُ وَحَفَّـتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». (رواه مسلم)

والذكر أنواع:

- **ذكر اللسان:** يكون في الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل والدُّعاء.

- **ذكر القلب:** يكون في التفكّر في مظاهر عظمة الله، وبدائع الخَلْق، وعجائب الطبيعة.

- **ذكر الجوارح:** يكـون في الاشـتغال بالطاعـات، وطلـب العلـم، والكسـب الحلال.

وينبغي أنْ يكون لكلّ مسلم وِرْدٌ مـنظّم، وبرنـامج عملـيّ في الـذّكر يشـتملُ

على:

١- تلاوة القرآن الكريم بمعدل جزء واحد كلّ يوم، وقراءة عدد من الآيات والسُّور المخصوصة مثل: الفاتحة، وآية الكرسي، وآخر سورة البقرة، والكهف، والمُلك، والإخلاص، والفلق، والناس.

٢- الإكثار من الاستغفار، وبخاصة في وقت السّحر.

٣- الإكثار من التسبيح والتّحميد والتكبير، ومن ذلك قول: لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كلّ شيء قدير. **(مائة مرة)**

وقول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم. **(مائة مرة)**

وقول: لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم. **(مائة مرة)**

٤- المحافظة على أذكار الأوقات والأحوال: مثل أذكار الصّباح والمساء، والخروج من البيت، ودخول المسجد، والخروج منه، ورؤية الهلال، وصياح الدّيكة، ولقاء العدو، وسماع الرَّعد، وهبوب الرّيح، وأذكار الطعام والشّراب، والنوم، واللباس، والمجلس، والسّفر، والإفطار والصيام، والكَرْب والحزن، والهمّ والغمّ.

٥- حضور مجالس العلم، وحلقات الذّكر، وخاصة أحكام التجويد، والقراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والبلاغة القرآنيّة.

٦- قراءة عدد من الأحاديث النبوية الشريفة في أبواب متفرّقة من كتب الحديث مثل: فضل الوضوء، والمحافظة على الصَّلاة، والمحافظة على السُّنة، وفضل قراءة القرآن، وفضل الحبّ في الله، وفضل الذّكر والدُّعاء، ووصف نعيم الجنة.

أركان المجاهدة:

للمجاهدة أربعة أركان يعضدُ بعضُها بعضاً في حَمْل النفس على الإذعـان لله ﷻ، وكَسْـر شـهوتها، والحـدّ مـن جموحهـا، وهـي: الخلـوة، والصَّـمت، والجـوع، والسّهر.

الرُّكن الأول: الخَلْوة بالنفس:

ليس معنى الخلوة أنْ يعتزل المسلمُ المجتمع، ويَنْزوي قابعاً في بيتـه أو مسـجده، لا يدري عمّا يدور حوله ممّا يهمّه، ويهمّ حياته، وإنّما معناها أنْ يخلو بنفسـه بضـعَ ساعات من حين إلى آخر، كأنْ يخصّص له ساعتين في بعض أيام العُطل يخلو فيهـا، ثمّ يرجع إلى مخالطة الناس، والإسهام في بناء مجتمعه، وإنهاض أمّته.

فالمسلم بهذه الخلوة يعتزل الكفر والنفاق، والفسوق والضَّلال، وأهل السُّـوء، ومجالس اللهو، من أجل أنْ يتفكّر في نفسه، ويصلح مـا أفسـد، ويقـوّم مـا اعـوجّ، ويتعبّد ويخبت لله ﷻ، من غير أنْ يضـيّع واجبـاً، أو يقصّـر في كسـبه ومعاشـه، أو يضيّع مَنْ يعول، أو يعتدي على حقّ أحد، أو يفوّت فرصة علم، أو زيادة إيمان.

يقـول الإمـام الشّـافعي رحمـه الله: "الانقبـاضُ عـن النـاس مَكْسَـبةٌ للعـداوة، والانبساطُ إليهم مَجْلَبة للسُّوء، فكنْ بين القَبْض والبَسْط".

ولعزلةِ الكفر وأهله، وللإعراض عن اللغو واللهو أصلٌ في كتاب الله ﷻ:

قال تعالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾ [مريم: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

بِمَ يشتغل المسلمُ في خلوته بنفسه؟

- التفكّر في خلق الله، وإجالة العقل في أقطار النفس والكون.
- الإكثار من الاستغفار والأدعية والمأثورات، والصَّلاة على النبيّ ﷺ.
- الإكثار من الصَّلاة والرُّكوع والسُّجود.
- تلاوة القرآن وتدبّر آياته، وتعلّم أحكامه، والوقوف على علومه.
- مدارسة الحديث الشريف، وفهم معانيه، وحِفْظ عدد من الأحاديث الصّحيحة.
- مدارسة كُتب التربية الرُّوحية مثل: الرِّعاية لحقوق الله، للمحاسبي، ومداواة النفوس، لابن حزم الأندلسي، وصيد الخاطر، لابن الجوزي، ومختصر منهاج القاصدين، للمقدسي.

الرُّكن الثاني: الصَّمت:

ينبغي للمسلم أنْ يكثر من الصَّمت، ويضبط لسانه، ويحفظه عن اللغو والشر، ويجعل لكلامه ميزاناً دقيقاً يراعي فيه أدبَ المقام؛ إذ إنَّ الإسراف في الكلام يؤدي إلى الأخطاء الكبيرة، والعواقب الوخيمة، ويقلّل الهيبة، ويُذهب الوَقار.

ومن أهمّ ما يجب أنْ يُحْفظ عنه اللسان: الشتم والسّباب، والتملّق والتشدّق، والجِدال والمِراء، والغيبة والنميمة، والكذب والزُّور، والفحش والبذاء، والسُّخرية والاستهزاء، والقيل والقال، وإفشاء الأسرار، وفضول الكلام، وكثرة السُّؤال.

عن أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ». (متفق عليه)

وليس معنى الصَّمت أنْ يظلّ المسلمُ ساكتاً دائماً، مُكتفياً بالنّزر القليل من

الكلام، إنّما يعني أنْ يصمت في مواضع الصَّمت، ويتكلّم في مواضع الكـلام، بـل يجبُ عليه الكلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والـدَّعوة إلى الله، والـتعلّم والتعليم، والدِّفاع عن الحقّ، فالسَّاكت عن الحقّ شيطان أخرس.

قال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

والخلوة بالنفس تعينُ المسلم على التحكّم في لسـانه، وتكشـف لـه كـثيراً مـن الأسرار واللطائف التي لا تتحقّق بالمخالطة، وتعوّده قلة الكلام، وحسن الاستماع، وتبعده عن دواعي الغيبة، والكذب، والمزاح، والجدال، وما تقتضـيه المخالطـة مـن مجاملة ومحادثة.

وممّا يعين على الصَّمت، ويرغّب فيه مطالعةُ ما كتبه الإمام الغزالي عن آفـات اللسان في كتابه "إحياء علوم الدين".

الرُّكن الثالث: الجوع:

قد يتبادرُ إلى الـذهن أنَّ المـراد بـالجوع هـو إظمـاء الخَلْـق، وتعـذيب المعـدة، ومحاصرة البدن بقلّة الأكل، ومنعه من الطيّبات والحلوى والفاكهة.

ليس هذا المقصود إنّما معنـى الجـوع أنْ يقلّـل المسـلمُ مـن طعامـه وشـرابه، ويأخذ منه حاجته، ويكتفي بقليله مـن غـير أنْ يصـلَ إلى حـدّ الشّـبع المـذموم، أو التخمة المهلكة.

قال النبيّ ﷺ: "ما ملأ آدمي وعاءً شرّاً من بطنه، بحسب ابن آدم أكـلات يُقمـن صُلْبَهُ، فإنْ كانَ لا محالة، فثلثٌ لطعامِه، وثلثٌ لشرابِه، و ثلثٌ لنَفَسِه". رواه الترمذي (حديث صحيح، تحقيق الألباني).

وعلى المسلم المجتهد أنْ يعوّد جسمه على قلّة الأكل والشُّرب حتى يصلَ إلى المرتبة العليا للجوع وهي الصّيام، وفي الصّيام فوائد كثيرة، فهو يطهّر الجسم من الأمراض والسُّموم، ويجدّد دورته الدّموية، ويمدّه بالطاقة والحيوية، ويجلبُ صفاء الذهن، ورقّة القلب.

أمّا كثرة الأكل فتستدعي النّوم والخمول، وتجلبُ الكسل والفتور، وتحجبُ القلب عن الرَّقائق التي لا تُلتقط إلا بروحانية ناصعة، وحسّ مرهف، وتفسحُ مجالاً للشيطان ليصول ويجول في طول الجسم وعرضه!

قال النبيّ ﷺ: "إنَّ الشَّيطانَ يجري من ابنِ آدمَ مجرى الدَّم". رواه أحمد، (حديث صحيح، تحقيق الألباني).

والصيامُ يقتضي من المسلم أنْ ينظّم أوقات طعامه وشرابه، ويضبط كمياته ومقاديره، دون أنْ يؤدي هذا التنظيم أو التجويع إلى ضَرر جسميّ، أو خَلَل عقليّ، فإنْ أدّى إلى ذلك فهو محرّم؛ ذلك لأنَّ المسلمَ مكلّفٌ بواجبات وفروض لا يمكن القيام بها بجسم هزيل، وعقل مُضطرب، وهمّة فاترة، ولأنَّ المؤمن القوي في دينه وجسمه وماله خيرٌ من المؤمن الضَّعيف، ولأنَّ الإسلام دينُ قوّة وعزّة يعتمدُ على الأصحّاء الأقوياء، وليس على المرضى والضُّعفاء.

والجوعُ يذكّر المسلم بأنْ ينفق من ماله، ويعطي من طعامه؛ فيصل الفئةَ الجائعة دائماً، فئةَ الفقراء والمساكين والمحتاجين.

والخلوةُ والصَّمتُ تُعينان على الجوع؛ إذ يشتغل العبد بالذّكر والعلم، وتنتفي لديه أسبابُ المخالطة الداعية إلى المجاملة في تناول الأطعمة والمشروبات، ومشاهدة الألوان الشَّهية في المطاعم والأسواق، والتهام الأطباق اللذيذة، ومجالسة الذين أهمّتهم بطونُهم، فلا يتحدّثون إلا فيما يأكون ويشربون!

الرُّكن الرابع: السَّهر:

معنى السّهر في المجاهدة لا يمتُّ بصلة إلى السّهر الشَّائع في أيامنا المعاصرة، من السّهر على سماع الأغاني، ومشاهدة المسلسلات، ومتابعة المباريات، ولعب الوَرَق في المقاهي، ومقارفة الفاحشة في النوادي الليليّة.

معنى السّهر في المجاهدة هو أنْ يقوم المسلمُ الليلَ قدر استطاعته، ويتحكّم في نومِه ويقظتِه، ويحرص على إحيائه بالصَّلاة والتهجّد، والاستغفار والتضرّع، وتلاوة القرآن، والبكاء من خشية الله، والتفكّر في خلق السَّموات والأرض.

وقيامُ الليل هو دأب الصَّالحين، ومَسْلك العابدين الذي أثنى الله عليهم في محكم التنْزيل:

قال الله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦].

عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لاَ يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْراً مِنْ أَمْرِ الدُّنيا وَالآخِرَةِ إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ». (رواه مسلم)

ولا بدّ للمسلم من اتّخاذ الأسباب الميسّرة لقيام الليل، ومن ذلك:

- معرفة فضل قيام الليل، وما فيه من الأجر العظيم.
- سلامة القلب، وخلوّه من البِدَع والمعاصي.
- حبّ الله ﷻ، والرّغبة في مناجاته، والتوسّل إليه.
- تذكّر وحشة القبر وظلمته وضيقه.
- تقليل الطعام والشراب.
- الإفادة من قيلولة النهار.

- النوم المبكّر بعد العشاء.

التطبيق العمليّ للمجاهدة:

يتمثّل التطبيق العمليّ للمجاهدة في الصُّور الآتية:

١- المراقبة الدائمة:

تكونُ المراقبة بأنْ يستحضرَ العبدُ عظمة الله ﷻ في كلّ الأوقات والأحوال، ويستشعر أنَّ الله ﷻ رقيبٌ عليه، وأنّه معه، يسمعه ويراه، ويعلم سرّه ونجواه، ويحيط بكلّ أقواله وأفعاله، ويطّلع على كلّ صغيرة وكبيرة تصدرُ عنه.

وعلى العبد أنْ يُلْزم نفسه بهذه المراقبة حتى تستشعرَ الأنس في ذكر الله ﷻ، وتجد الراحة في طاعته، وترغب في جواره، والإقبال عليه، والإعراض عمّن سواه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤].

وفي الحديث الشريف قَالَ النبيّ ﷺ لّما سُئل عن الإِحْسَان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». (متفق عليه)

وينبغي أنْ يراقب العبدُ نفسه قبلَ العمل، ويلاحظ تحرّكها للعمل، فإنْ كان لله أمضاه، وإلا تركه، وإنْ كان لغير الله استحيا منه، ولامَ نفسه على رغبتها فيه، وهمّها به، وميلها إليه.

ويراقب نفسه عندَ الشُّروع في العمل بتفقّد كيفية العمل؛ ليقضي حقّ الله فيه، ويحسن النية في إتمامه، ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه.

ويراقب نفسه في الطاعة، وذلك بالإخلاص فيها، وفي المعصية بالإقلاع عنها

والتوبة منها، وفي المباحات بمراعاة الأدب فيها، وفي الشّدة بالصبر على البلاء.

وليعلم العبد أنَّ ساعاتِه ثلاث:

- ساعة مضَتْ بما فيها من مشقة أو رخاء، والآن لا تعبَ فيها على العبد.

- ساعة مُستقبلة لم يحن أوانها، ولا يدري أيعيش إليها أم لا؟ ولا يدري ما يقضي الله ﷻ فيها.

- ساعة حاضرة ينبغي أنْ يجاهد نفسه فيها، ويراقب فيها ربّه، وعليه أن يكون ابنَ وقتِه، وكأنّه في آخر أنفاسه، ولعلّها تكون آخر أنفاسه فعلاً، وهو لا يدري.

وما أحسنَ قول القائل:

إذا ما خلوتَ الدَّهرَ يوماً فلا تقلْ ... خلوتُ ولكنْ قُلْ عليَّ رقيبُ

ولا تحسبنَّ الله يغفلُ ساعةً ... ولا أنَّ ما تخفيه عنهُ يغيبُ

ألم ترَ أنَّ اليومَ أسرعُ ذاهبٍ ... وأنَّ غداً للناظرين قريبُ!

٢- مجاهدة الشيطان:

يجب على كلّ مسلم أنْ يقاوم الشيطان مقاومةً شديدة؛ لأنّ الشيطان هو العدوّ اللدود، الضّال المضل، اللعين الفاجر، الخبيث الماكر، الوسواس الخنّاس، الآمر بالفحشاء والمنكر، الدّاعي إلى النار.

وقد تنَزّلت آياتٌ كثيرة في التحذير من إغرائه وإغوائه، والدَّعوة إلى دفع مَكْرِه، والاحتراز من خطواته وخداعه، والتحصّن من مصائده:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ». قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَإِيَّاىَ إِلاَّ أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِى عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلاَ يَأْمُرُنِى إِلاَّ بِخَيْرٍ». (رواه مسلم)

وقد نظرَ أحدُ الصالحين وتفكّر: من أين يأتي الشّيطانُ إلى الإنسان؟ وكيف السبيل إلى مقاومته والتحصّن منه؟ فوجد أنّه يأتي من الأبواب العشرة التالية:

- الحرص، والتحصّن منه بالثقة والقناعة.
- حبّ الحياة وطول الأمل، والتحصّن منه بالخوف من مفاجآت الموت.
- طلب الراحة والنعمة، والتحصّن منه بذكر زوال النعمة وسوء الحساب.
- العُجب، والتحصّن منه بالخوف من العاقبة.
- الاستخفاف بالناس، والتحصّن منه بمعرفة حقّهم وحرمتهم.
- الحسد، والتحصّن منه بالقناعة والرّضا بقسمة الله ﷻ.
- الرِّياء، والتحصّن منه بالإخلاص.
- البخل، والتحصّن منه بفناء ما عند الناس، وبقاء ما عند الله ﷻ.
- الكِبْر، والتحصّن منه بالتواضع.
- الطمع، والتحصّن منه بالثقة بما عند الله ﷻ، والزهد بما عند الناس.

٣- مصاحبة المجتهدين:

نقصد بالمجتهدين العلماءَ العاملين، والدُّعاة الصادقين، والأخيار الصَّالحين من

أهل الورع والاستقامة الذين يُعرفون بعلامات ظاهرة عليهم:

فهـم يقفـون عنـد حـدود الله، ولا يعتـدونها، ويـدعون إلى الخـير، ويـأمرون بالمعروف، وينهون عـن المنكـر، ويشـتغلون بعيـوب أنفسـهم عـن عيـوب النـاس، ويكثرون من اعتياد المساجد، وارتياد حلقات العلم والـذِّكر، علـى وجـوههم أثـرُ التقوى، وفي صدورهم علمٌ غزير بالكتاب والسُّنة، وإذا رأيتَهم ذكّروك بالآخرة.

وصحبة هؤلاء المجتهدين تعودُ بفضائل كثيرة على مَنْ يقتفي أثرهم الطيب:

فهو ينفّذ أمـر الله بمصـاحبة المـؤمنين وملازمـتهم، ويكتسـبُ مـنهم الخِصـال الحميدة، ويستفيد من أساليبهم في الدَّعوة، ويحصّل من صـحبتهم قـدراً كـبيراً مـن العلم والحِلْم، ويكتسب محبـتهم وإخـاءهم، وتطمـئن نفسُـه في رحـاب الله ﷻ؛ إذ يتشبّه بهذه الصفوة المؤمنة، وتمتلئ نفسه بالحمـاس والنشـاط لنصـرة الـدّين، وأداء العبادة على أحسن ما يكون:

قـــال تعـــالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقـال تعـالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال النبيّ ﷺ: "لا تصاحبْ إلا مؤمناً، ولا يأكـلْ طعامَـك إلا تَقـيّ". رواه أبـو داود والترمذي، (حديث حسن، تحقيق الألباني).

وصحبة المجتهدين صُحْبتان:

أ. صُحْبة سابقة:

وذلك بأن تصاحبَ مَنْ سبقَك من أهل العصور من الصَّحابة الكرام، والتابعين، وتابعيهم، والعلماء، والصَّالحين، وتكون صحبتهم بقراءة سِيَرهم، ومعرفة أخبارهم ومجاهداتهم، والسير على نهجهم، واستخلاص الدُّروس من حياتهم.

ومن أحسن الكتب التي رصدَتْ سيرتهم: "الإصابة في تمييز الصَّحابة" لابن حَجَر، و"صور من حياة الصَّحابة"، و"صور من حياة التابعين"، لعبد الرحمن رأفت الباشا، و"صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل"، لعبد الفتاح أبو غدّة.

ب. صُحْبة حاضرة:

وذلك بأنْ تصاحبَ مَنْ يعيش في زمانك الحاضر من العلماء، والأساتذة، والأخيار، والثِّقات، وتكون صحبتهم بملازمتهم، وزيارتهم في بيوتهم، وحضور مجالسهم، وشهود محاضراتهم وندواتهم، وقراءة كُتبهم ومدارستها.

٤- المنافسة في الدِّين:

المنافسة هي الرّغبة الملحّة في عمل الخير، والمبادرة إلى الطاعة، والمسابقة في العبادة، والتماس كلّ ما يزيد الأجر، ويضاعف الثواب، وهي الاستكثار من الخيرات، والطَّمع في رضوان الله.

قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطفّفين: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقد دعا النبيّ ﷺ إلى المنافسة في تعلّم القرآن، وتعلّم أحكام الشّرع، وإنفاق المال في ساعات الليل والنهار: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِى اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ». (متفق عليه)

وقد كانت المنافسة قوية بين الصَّحابة الكرام، بين أبي بكر الصّديق وعمر الفاروق، رضي الله عنهما، وبين فقراء المهاجرين وأغنياء المسلمين، ولم تكن في دنيا ذاهبة، أو متاع زائل، بل كانت في طاعة الله ورسوله.

وأمّا نحن أبناء هذا الزمان ففيمَ نتنافس؟

نتنافس في إخلاص العمل لله ﷻ، وفي إتقانه، وفي تدبير العمر.

نتنافس في التأسّي برسول الله ﷺ، وتمثّل سيرته، والمحافظة على سُنته.

نتنافس في تعلّم القرآن وتعليمه، وتعلّم العلم ونشره.

نتنافس في الإنفاق في سبيل الله سرّاً وعلانية.

نتنافس في قيام الليل، والاستغفار بالأسحار.

نتنافس في الدَّعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وليس معنى المنافسة في الدِّين أنْ نترك إعمار الدُّنيا، وندع طيّباتها المباحة، ونقبع في أكواخ حقيرة نتزهّد ونتعبّد، وإنّما المنافسة الحقّة تستند إلى تلبية مطالب الرُّوح، وتلبية مطالب الجسد، وأخذ النَّصيب من الدُّنيا، وابتغاء الآخرة؛ إذ الدُّنيا مزرعة الآخرة:﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧].

٥- المتابعة المستمرة:

ينبغي للمسلم المجتهد أنْ يتابع نفسه على أعمالها، ويشرف على تنفيذ تلك الأعمال وفقَ مخطّط محكم، وذلك في كلّ لحظة من حياته متابعةً مستمرة في عبادةٍ دائمة، وتبتّل قائم، وذِكْر لا ينقطع، حتى يأتيه الموت، وينتهي أجلُه ورزقُه، وينتقل من ضيق الدُّنيا إلى سعة الآخرة:قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحِجر: ٩٩].

وهو مدعوّ إلى المداومة على الأعمال وإنْ قلّتْ، والمحافظة على الطاعات والنوافل، ورعاية حقوق الله ﷻ بالإخلاص والذكر واستمرار التعبّد.

والمتابعة تحملُ النفس على التقرّب إلى الله بالطاعة والنافلة، ومواصلة أعمال الخير، وتسدّ فراغ الوقت، وتعيق النفس عن الاشتغال بعيوب الخَلْق، أو الرُّكون إلى الكسل والاسترواح.

عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّى ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَإِذَا أَتَانِى مَشْياً أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً». (رواه البخاري)

ومن الطاعات – غير الفرائض- التي ينبغي للمسلم أنْ يتابع نفسه على أدائها:

- إماطة الأذى عن الطريق.
- إفشاء السَّلام على مَنْ يعرف، ومَنْ لا يعرف.
- مساعدة الأهل في أعمال البيت.
- زيارة الأصدقاء والمرضى ومجالسة الفقراء والمساكين.
- تشميت العاطس، وإدخال السُّرور على المسلم.
- العناية بنظافة البدن والثياب والبيئة.

- العناية بالنظام والترتيب والتنسيق.
- رعاية المزروعات والحفاظ على جمالها وخضرتها.
- العناية بالحيوانات والرّفق بها.
- المطالعة النافعة في الدّين والعلم والأدب والثقافة.

ومن النوافل التي ينبغي للمسلم أنْ يتابع نفسه على أدائها:

- **نوافل الصَّلاة:** تحية المسجد، وسنة الوضوء، وصلاة الضحى، وصلاة التراويح، وصلاة الليل، والسُّنن الرَّواتب، وصلاة الوتر.
- **نوافل الصوم:** صيام الاثنين والخميس، وصيام الأيام البيض، وصيام ستة من شوال، وصيام يوم عرفة، وصيام عاشوراء.
- **نوافل الزَّكاة:** إخراج زكاة الفطر، والإكثار من الصَّدقة، وتكون الصّدقة بالمال من درهم إلى دينار إلى دنانير، وتكون بالمتاع من سواك إلى ثلاجة إلى سيارة وعمارة.
- **نوافل الحجّ:** وهي العمرة، وزيارة المسجد النبويّ، والسَّلام على رسول الله ﷺ، والحجّة الثانية بعد الفريضة.

والمسلم وهو يأخذ نفسه بالطاعات والنوافل، ويتابعها على ذلك إنّما يفعل ما يفعل قدر استطاعته دون غُلوّ ولا تشدّد، ولا تهاون ولا تقصير: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا، وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قَالَ: «مَنْ هَـذِهِ؟». قَالَتْ: فُلاَنَةُ. تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا. قَالَ: « مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا». وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ. **(رواه البخاري)**

جرعات المجاهدة:

لا يخلو المسلمُ من فتور يعتريه، وهوى يُغالبه، وشيطان يُغريه، فإذا ألمّ به شيءٌ من ذلك فيحتاج إلى أخْذ جرعة أو أكثر من هذه الجرعات التي يصفها طبيبٌ بارع في الرِّياضة النفسية، هو العلامة ابن القيم (٧٥١هـ) رحمه الله صاحب التصانيف الكثيرة، فقد ذكر من هذه الجرعات:

- عزيمة حُرّ يغار على نفسه.
- جرعة صبر يحمل نفسه على مرارتها ساعة الإغراء.
- قوة نفس تشجّعه على شُرْب تلك الجرعة.
- ملاحظة حُسن العاقبة والشّفاء بتلك الجرعة.
- ملاحظة أنّ ما ينشأ عن الهوى من ألم أشدّ مما يحسّه العبد من لذة.
- إبقاء العبد على مَنْزلته عند الله تعالى، وفي قلوب عباده.
- إيثار لذة العفة وعزّتها وحلاوتها على لذة المعصية.
- فَرَح العبد بتغلّبه على عدوّه الشيطان، وردّه خائباً بغمّه وهمّه.
- التفكير بأنّه لم يخلق للهوى، وأنّه أُعِدَّ لأمر عظيم لا يناله إلا بمعصية الهوى.
- أنْ يكره لنفسه أنْ يكون الحيوانُ البهيم أحسنَ حالاً منه.
- أنْ يتصوّر انقضاء شهوته ممّن يهواه، ثمّ يتصوّر حاله بعد قضاء الوَطَر، وما فاته وما حصل له.
- أنْ تأنف نفسه من ذلّ طاعة الهوى، فما أطاع أحدٌ هواه إلا وجدَ في نفسه ذلاً.
- أنْ يأنف لنفسه أنْ تكون تحت قهر عدوه، فالشيطانُ يطمع في الذليل حتى

يصرعه.

- أنْ يعلم أنَّ الشيطان ليس له مدخل على ابن آدم إلا من باب الهوى، فإنّه يطوف به حتى يفسد قلبه وأعماله، فلا يجد مدخلاً إلا الهوى، فيسري فيه سريانَ السّم في الأعضاء!

- أنْ يتذكّر أنّ مخالفة الهوى تُورث العبد قوةً في بدنه، وقوةً في لسانه، وأنَّ أغزرَ الناس مروءةً أشدُّهم مخالفةً لهواه، وأنّه ما من يوم إلا والهوى والعقل يعتلجان فأيّهما قَوِيَ على صاحبه طرده وتحكّم، فكان الحكم له!

- أنْ يعلم أنَّ الهوى ما خالطَ شيئاً إلا أفسده، فإنْ وقع في العلم أخرجه إلى البِدْعة والضَّلالة، وصار صاحبُه من جملة أهل الأهواء، وإنْ وقع في الزُّهد أخرج صاحبه إلى الرِّياء ومخالفة السّنة، وإنْ وقع في الحكم أخرجه إلى الظلم، وصدّه عن الحقّ، وإنْ وقع في العبادة خرجتْ عن أنْ تكون طاعةً وقُرْبة.

- أنْ يسير بفكره في عواقب الهوى، فيتأمّل كم أماتَ هواه عليه من فضيلة، وكم أوقعه في رذيلة، وكم أكلةٍ منعت أكلات، وكم شهوةٍ كسرتْ جاهاً، ونكّستْ رأساً، وقبّحتْ ذِكْراً، وأورثتْ ذمّاً، وألزمتْ عاراً لا يغسلهُ الماء، غير أنّ عينَ الهوى عمياء!

- أنْ يعلم أنَّ الهوى رِقٌّ في القلب، وغُلّ في العنق، وقيدٌ في الرِّجل، ومُتابِعُهُ أسير، فمَنْ خالف هواه عُتقَ من رِقّه، وصار حُرّاً، وخلعَ الغُلّ من عنقه، والقيدَ من رجله، واستطاع مسايرةَ الصَّالحين!

الخلاصة:

١- المجاهدة هي: حَمْل النفس على الطاعة باجتهاد وعزم ونشاط، وحملها على اجتناب المعصية بقوة وصبر ومثابرة، ووقت المجاهدة يستغرق العمر كلّه.

٢- تستهدي المجاهدة بمصباحين هما: الأول: العلم، فهو يؤدي إلى الاعتقاد الصحيح، والعبادة الصَّحيحة. والثاني: الذكر، فالذكر الكثير يشحن القلب بالإيمان، ويملأ النفس طمأنينة.

٣- أركان المجاهدة أربعة هي:

أ. **الخلوة:** أنْ يخلو المسلم بنفسه بعض الوقت؛ ليتفكّر وليصلح ما أفسد، ويجدّد مساره من غير أنْ يعتزل الناس، أو يدع مخالطتهم.

ب. **الصَّمت:** أنْ يصون المسلم لسانه، ويحفظه من الغيبة والنميمة، والكذب والزُّور، وذلك في مواضع تقتضي الصَّمت.

ج. **الجوع:** أنْ يقلّل المسلم من طعامه وشرابه، ويأخذ منه قدر حاجته، ويكثر من الصيام؛ لأنّه يطهّر النفس، ويحفظ البدن من السُّموم، ويجلب صفاء الذهن.

د- **السّهر:** أنْ يتحكّم المسلم في نومه ويقظته، ويقوم الليل قدر ما يستطيع، ويحرص على إحيائه بالذكر والصَّلاة، والدُّعاء والاستغفار.

٤- يتمثّل التطبيق العمليّ للمجاهدة في الصُّور الآتية:

أ- **المراقبة الدائمة:** تكون المراقبة بأنْ يستحضر العبد عظمة الله ﷻ في كلّ الأوقات والأحوال، ويستشعر أنَّ الله ﷻ رقيبٌ عليه، وأنّه معه، يراه ويسمعه.

ب- **مجاهدة الشيطان:** يجب على العبد أن يقاوم الشيطان مقاومة شديدة؛ لأنّ

الشيطان هو العدو اللدود، الآمر بالفحشاء والمنكر، الدّاعي إلى النار.

ج- **مصاحبة المجتهدين:** نقصد بالمجتهدين العلماءَ العاملين، والدعاة الصادقين، والأخيار الصالحين الذين يُعرفون بعلامات ظاهرة عليهم: فهم يدعون إلى الخير، ويشتغلون بعيوب أنفسهم.

د- **المنافسة في الدِّين:** المنافسة هي الرّغبة الملحّة في عمل الخير، والمبادرة إلى الطاعة، والمسابقة في العبادة، والتماس كلّ ما يزيد الأجر، ويضاعف الثواب.

هـ- **المتابعة المستمرة:** ينبغي للمسلم المجتهد أنْ يتابع نفسه على أعمالها، ويشرف على تنفيذ تلك الأعمال وفق مخطّط محكم، ونهج منظّم، متابعةً مستمرة في عبادةٍ دائمة، وتبتّل قائم.

٥- جرعات المجاهدة: إذا ألمّ بالمسلم شيءٌ من فتور أو هوى فيحتاج إلى أخذ جرعة مجاهدة:

- جرعة صبر يحمل نفسه على مرارتها ساعة الإغراء.
- قوة نفس تشجّعه على شُرْب تلك الجرعة.
- ملاحظة حسن العاقبة والشفاء بتلك الجرعة.

ثالثاً- المحاسبة

المحاسبة: معناها وأهميتها:

المحاسبة بمفهومها الخاص هي الطريقة الثالثة في تزكية النفس وإصلاحها، والإزراء عليها، وتعني: إحصاء ما عَمِلَ الإنسان في يومه من الطاعات والمعاصي، ومناقشة النفس على ما كان منها، ومساءلتها عمّا عملت.

والأصل في المحاسبة هو قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٨ - ١٩] .

قال الحافظ ابنُ كثير (٧٧٤هـ) في تفسير سورة الحشر:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أمرٌ بتقواه، وهو يشمل فعل ما به أمر، وترك ما عنه زَجر.

﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾: أي حاسبوا أنفسَكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادّخرتم لأنفسكم من الأعمال الصّالحة ليوم معادكم، وعَرْضِكم على ربّكم.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تأكيد ثان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: أي اعلموا أنّه عالم بجميع أعمالكم وأحوالِكم، لا تخفى عليه منكم خافية، ولا يغيبُ من أموركم جليلٌ ولا حقير.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾: أي لا تنسوا ذكر الله تعالى،

فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم؛ فإنَّ الجزاء من جنس العمل، ولهذا قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: أي الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة الخاسرون يومَ معادهم.

جاء في خطبةٍ لأبي بكر الصِّديق ﷺ: "أمَا تعلمون أنّكم تَغْدُون وتروحون لأجلٍ معلوم، فمَن استطاع أنْ يقضيَ الأجل، وهو في عمل الله ﷻ فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله ﷻ، إنَّ قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم، فنهاكم الله ﷻ أنْ تكونوا أمثالهم".

ويقول الإمام الغزالي في كتابه "الإحياء":

"اعلم أنَّ العبد كما يكون له وقتٌ في أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحقّ، فينبغي أنْ يكون له في آخر النهار ساعةٌ يطالب فيها النفس، ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها، كما يفعل التُّجّار مع الشُّركاء في آخر كلّ يوم أو شهر أو سنة، حرصاً منهم على الدُّنيا، وخوفاً من أنْ يفوتهم منها شيء"!

وقد سبق من قبلُ حديثنا عن ثمراتٍ طيبات نجنيها من محاسبتنا لأنفسنا، إذ هي الباب الذي يؤدي إلى تزكية النفس:

فنعرف أنفسنا التي بين جنوبنا.

ونطّلع على أحوالها وصفاتها وعيوبها.

ونقف على مواضع تقصيرها، وعلامات صحتها ومرضها.

وندخل في دائرة التزكية، ونتمرّس بهذا العلم، وننقله إلى الناس.

ونعرف الحقوق الواجبة علينا، حقّ الله تعالى، وحقّ النفس، وحقّ العباد.

وندرك قيمة الوقت في حياتنا، ونحسّ بأهميته؛ إذ هو رأس مالنا.

وقلنا من قبل إنّه يمكن للمسلم المجتهد أنْ يحاسب نفسه في بيته، أو مسجده،

أو متجره، أو حديقته، أو في أي مكان يخلو فيه بنفسه، ويسهل عليه استذكار أعماله، والتفتيش على أفعاله.

خطوات المحاسبة:

للمحاسبة خطوات تسهّل على العبد أنْ ينظر في رأس المال، وفي الرّبح والخسارة، لتتبيّن له الزيادة من النقصان: فرأس المال هو الفرائض، والخسارة هي المعاصي، والرّبح هو أداء الفرائض، والخلاص من المعاصي.

والمحاسبةُ عملية مستمرة، والمسلمُ البصير يحاسب نفسه على جميع العمر يوماً يوماً، وساعةً ساعة، فالذنوب كبيرة، والمعاصي كثيرة، وهي جميعاً تحتاج إلى حذرٍ شديد.

ولو رمى العبد بكلّ معصيةٍ ارتكبها حجراً لامتلأتْ دارهُ بالحجارة، بل لربّما امتلأت دورُ جيرانه، وساحاتُ بلده!

فكيف بِمَنْ يتساهل في إغفال المعاصي وحفظها، والمَلَكان يحفظانه ذلك عليه، والله ﷻ يحصي عليه مثاقيل الذّر:

- ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾

[المجادلة: ٦].

- ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨]

وخطوات المحاسبة ثلاث:

الخطوة الأولى: الإحصاء والتدوين.

الخطوة الثانية: الإثابة والمعاقبة.

الخطوة الثالثة: المعاتبة والتوبيخ.

الخطوة الأولى: الإحصاء والتدوين

كيف يبدأ المسلمُ المجتهد بمحاسبة نفسه؟

١- يبدأ بالبسملة، ويتلو قول الله تعالى مُذكّراً نفسه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

٢- يدعو بما تيسّر من الأدعية مثل:

- اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليّها ومولاها.
- اللهم إنّي أعوذ بك من شرّ نفسي، ومن سيئات عملي.
- اللهم أعنّي على إصلاح نفسي، ومعاهدتها، ومجاهدتها، ومحاسبتها.
- اللهم اجعل حسابي يومَ القيامة يسيراً، ولا تجعله عسيراً، واجعلني من أصحاب اليمين، ومن ورثة جنّة النعيم.

٣- يستعرض أعمال يومه كلّها من أول يقظته إلى الساعة التي هو فيها، ثمَّ يحاسب نفسه على الواجبات المحددة حسب كلّ نوع في جدول المحاسبة التالي:

الرقم	الواجب الأساسي	محاسبة يومية	محاسبة أسبوعية	محاسبة شهرية	محاسبة سنوية
١	العلم	الفكر والذكر	طلب العلم	العلم	العمر
٢	العمل	الكسب الحلال	رعاية الأهل	العمل	العلم
٣	العبادة	أداء الفرائض	أداء النوافل	العبادة	المال
٤	الدَّعوة	تزكية النفس	دعوة الناس	الدَّعوة	الجسم

٤- يمكن للمسلم أنْ يحاسب نفسه محاسبة شفوية من غير أنْ يستخدم ورقة وقلماً، وهي طريقة سهلة سريعة، ولكنّها أدعى إلى النسيان، وأبعد عن التقويم الشامل للنفس.

ويمكن له أنْ يدوّن أعماله، فإذا اختار هذه الطريقة فينبغي أنْ يجعل ذلك في سجل خاصّ، ويتبع في تنظيم هذا السّجل التعليمات التالية:

أ- تُجعل الجهة اليمنى من الصّفحة للأعمال الصالحة، والجهة اليسرى للأعمال السيئة.

ب- تُسجّل الأعمال الصّالحة باللون الأخضر، وتُسجّل الأعمال السيئة باللون الأحمر.

ج- تسجّل الأعمال بعبارات موجزة من غير تطويل ولا تفصيل.

د- يُذكر توقيت العمل (بتحديد الساعة، أو بالمدة الزمنية: صباحاً، عصراً، ليلاً).

هـ- يكون هذا السّجل جامعاً لكلّ المحاسبات اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية.

نموذج مقترح لسجل المحاسبة

نوع المحاسبة: يومية			اليوم والتاريخ: الخميس ١٠/ شوال/١٤١٠هـ	
الرقم	**الأعمال الصالحة**	**الساعة**	**الأعمال السيئة**	**الساعة**
١	صلاة الفجر جماعة في المسجد	٤:٢٥ص	التأخر عن الدوام خمس دقائق	٨:٠٥
٢	قراءة جزء من القرآن	٥:١٥ص	ذكر رئيس القسم بالسُّوء	١:١٥
٣	صلاة ركعتين من الضحى	٨:٢٠ص	النظر الآثم إلى إحدى الموظّفات	١:٤٠
٤	التصدّق على محتاج بدينار	٤:٠٠م	إنهاء المحاضرة قبل وقتها المقرّر	٣:٤٥
٥	تنظيف الشارع من الحجارة	٦:١٠م	شتم سائق حاول التجاوز	٤:٣٠
٦	زيارة الوالدين وإكرامهما بهدية	٧:١٥م	مجاملة أحد الزملاء على الباطل	٥:١٧
٧	مهاتفة الخالات والسَّلام عليهن	٨:٠٠م	معاقبة أحد الأولاد بالضرب	٦:٤٠
٨	إصلاح بين صديقين متخاصمين	٨:٤٥م	تعنيف الزوجة ولومها	٩:٣٦

المحاسبة اليومية:

إذا كان الوقت آخر اليوم، أو آخر الليلة قبيل النوم، حاسب نفسه مدّة ساعة على واجبات اليوم وهي: الفكر والذّكر، والكسب الحلال، وأداء الفرائض، وتزكية النفس.

١- الفكر والذِّكر:

يحاسب نفسه على الفكر:

- هل تفكّرَ في خَلْق الكون، في السّموات والأرض، وما فيها من آيات وإبداع؟

- هل تفكّرَ في نفسه، وما أودع الله فيها من الآيات العجيبة والأسرار الباهرة؟
- هل تفكّرَ في أحوال الأمم الهالكة، والقرون الأولى، وما تركوا من آثار مثل قوم عاد وثمود والفراعنة واليونان والرّومان؟
- هل تفكّرَ في أحوال المسلمين المعاصرين، في معاشهم ومعاناتهم، وفي سُبل توحيد صفوفهم، وبعث نهضتهم، وإعادة أمجادهم؟
- هل تفكّرَ في أوضاع الأمم المعاصرة والشعوب الحاضرة، وما يدور في عالمهم من عقائد ومذاهب، وتيارات واتجاهات، وما يمكن أنْ يُستفاد منهم، ويُؤخذ عنهم؟
- هل تفكّرَ في أحوال الآخرة، وذكرَ الموت والبلى، وذكرَ القبر ووحشته وظلمته، وذكرَ البعث والحشر والعرض والحساب، وذكرَ الجنة والنار؟

ويحاسب نفسه على الذِّكر:

- هل قرأ القرآن اليوم؟ وكم قرأ منه؟ هل حفظَ شيئاً منه؟ هل فسّر بعض سُوره وآياته؟ وهل راعى آداب تلاوته؟
- هل لازمَ الاستغفار والتسبيح دُبُرَ كلّ صلاة مكتوبة؟
- هل توجّه لله ﷻ بالتضرّع والدُّعاء؟
- هل ذكرَ اللهَ ﷻ خالياً ففاضت عيناه؟
- هل حافظَ على أذكار الصباح والمساء؟

٢ – الكسب الحلال:

يحاسب نفسه على عمله وتعامله:

- هل أتقنَ عمله؟ ما درجة إتقان عمله: جيدة، جيدة جداً، ممتازة؟
- هل كان عملُه في حلال مُباح؟
- هل كان يبتغي وجه الله ﷻ بهذا العمل؟
- هل راعى آداب المهنة؟
- كيف كان تعاملُه مع الناس؟
- هل عاملهم على أساس من فقه الأحكام؟

ويحاسب نفسه على المال المكتسب:

- كم كسبَ من المال في هذا اليوم؟
- من أين اكتسبَ ماله في هذا اليوم؟
- كم تصدّقَ من ماله في هذا اليوم؟
- فيمَ أنفقَ ماله؟ هل أنفقه في رعاية نفسه وأهله وعياله؟
- هل أكرمَ بماله الضيوف، وزملاء العمل؟
- هل ساعد به الفقراء والمحتاجين، وطلبة العلم؟
- كم استثمرَ من ماله؟ وكم ادّخر؟

٣- أداء الفرائض:

يحاسب نفسه على الطهارة والنظافة:

- هل اعتنى بطهارة جسمه ونظافته؟
- هل حَسَّنَ هيئته وثيابه؟
- هل أسبغَ الوضوء على المكاره، وراعى أحكامه؟

- هل اغتسلَ اليوم غُسْلاً صحيحاً، وراعى أحكامه؟
- هل أتقنَ أحكام التيمّم والمسح على الخفين والجبيرة؟
- هل راعتْ أحكام الحيض والنفاس، وتطهّرتْ من النجاسات؟

ويحاسب نفسه على الصَّلاة:

- هل أدّى الصَّلواتِ المكتوبة في أوقاتها؟
- لماذا أخّر إحدى الصّلوات عن وقتها؟
- هل أدّى الصلواتِ بأركانها وشروطها وسُننها؟
- كيف أدّى صلواته؟ وماذا قرأ في كلّ صلاة؟
- هل نهته صلاتُه اليوم عن الفحشاء والمنكر؟
- هل صلّى الصَّلواتِ الخمس في جماعة؟
- هل راعى آداب المسجد والجماعة؟

٤ - تزكية النفس:

يحاسبُ نفسه على استقامة لسانه:

- هل اغتابَ أحداً من الناس؟ ولِمَ اغتابه؟
- هل كذبَ على أحد من الناس؟
- هل أكثرَ اليوم من الجَدَل والمِراء؟
- هل سَخِرَ من أحد أو طعنه أو لعنه؟
- هل أفشى أسرارَ الناس، وكشفَ عيوبهم؟
- كيف كان مزاحُه مع الناس؟ وكيف كانت مجاملتُه للمسؤولين عنه؟

ثمّ يحاسب نفسه على استقامة قلبه:

- هل نيّتُه اليوم خالصة لله تعالى؟
- هل أحسّ ببرد اليقين في قلبه؟
- هل توكّلَ على الله حقّ التوكّل في عمله؟
- هل قلبُهُ مع ربّه جَلَّ جَلَالُهُ بين الخوف والرّجاء؟

ثمّ يحاسبُ نفسه على استقامة خُلقه وأدبه:

- هل أماطَ الأذى عن طريق الناس؟
- هل حسدَ أحداً على مالٍ أو منصب أو متاع أو ولد أو نعمة ما؟
- هل غضّ من بصره عن النساء والمشاهد المنكرة والصُّور الخليعة؟
- هل صبرَ على أذى أقاربه أو جيرانه أو أصحابه؟
- هل حافظَ على مقاعد الحافلة التي ركبَ فيها؟

٥ - أعمال اليوم:

يحاسب نفسه على الأعمال التي عملها في يومه غير ما سبق.

ويمكن أنْ يستعين بالنموذج المقترح لسجل المحاسبة.

خلاصة المحاسبة اليومية:

١ - الفكر والذّكر:

أ. **التفكّر:** في خلق الكون والنفس، وأحوال الأمم السابقة والمعاصرة، وأحوال المسلمين، وأحوال الآخرة.

ب. **الذّكر:** قراءة القرآن، وملازمة الاستغفار والتسبيح، والدُّعاء، وأذكار الصّباح والمساء.

٢- الكسب الحلال:

أ. **العمل والتعامل:** القصد من العمل، درجة إتقانه، آدابه.

ب. **المال المكتسب:** مصادر الاكتساب، مجالات الإنفاق، استثمار المال، ادّخار المال.

٣- أداء الفرائض:

أ. **الطهارة:** نظافة الجسم والثياب، إسباغ الوضوء، فقه الأحكام.

ب. **إقام الصَّلاة:** الصَّلاة المكتوبة، كيفية أداء الصَّلاة، صلاة الجماعة.

٤- تزكية النفس:

أ. استقامة اللسان: تخليصه من الآفات: الكذب والغيبة والنميمة، والسُّخرية والجدال.

ب. استقامة القلب: إخلاص النية، التوكل واليقين، والخوف والرجاء.

ج. استقامة الخلق والأدب: الصبر والتحمّل، غضّ البصر، الذّوق الرفيع.

قائمة يومية:

ويمكن للمجتهد أنْ يستعين بهذه القائمة في معرفة أهمّ واجبات يومه، ومحاسبة نفسه، وذلك بوضع إشارة (√) لما تمّ أداؤه، وإشارة(Ξ) لما قصّر فيه، ولم يقم به:

الرقم	عمل اليوم	الأداء (√)	التقصير (☒)	ملحوظة
١	أداء صلاة الفجر جماعة في المسجد			تكون صلاة المرأة في بيتها
٢	قراءة جزء من القرآن الكريم			إذا شُغل قرأ ما تيسّر
٣	قراءة عدد من الأحاديث النبوية			من صحيح البخاري ومسلم
٤	المحافظة على أذكار الصباح			يجعل له وِرْداً يوميّاً
٥	ممارسة التمارين الرياضية			ولو عشر دقائق
٦	صلاة ركعتين من الضحى			يمكنه أن يصلي أربعاً
٧	بدء العمل والدوام في الوقت المحدّد			خاصّ بالموظّفين والعمّال
٨	تنظيف المَنْزل وترتيبه وتجميله			خاص بربّات البيوت
٩	التصدّق بمبلغ من المال			أو التصدّق بمواد عينية
١٠	صلاة الظهر جماعة في المسجد			أو جماعة في المصلّى
١١	إنهاء العمل والدوام في وقته المحدّد			دون نقص ولو دقيقة
١٢	إراحة الجسم بالقيلولة			ولو عشر دقائق
١٣	صلاة العصر جماعة في المسجد			أو جماعة في المصلّى
١٤	مساعدة الأهل في أعمال البيت			خاص بالأولاد والرجال
١٥	إكرام الوالدين بالزيارة والهدايا			إذا كانا متوفيين يدعو لهما
١٦	زيارة الأصدقاء والمرضى والأرحام			زيارة واحد على الأقلّ
١٧	مطالعة باب من أبواب العلم			فقه، تفسير، حديث، لغة
١٨	صلاة المغرب جماعة في المسجد			أو جماعة في المصلّى
١٩	المحافظة على أذكار المساء			يجعل له وِرْداً يوميّاً
٢٠	متابعة دروس الأولاد وواجباتهم			تخصيص وقت محدّد لهم
٢١	صلاة العشاء جماعة في المسجد			أو جماعة في المصلّى
٢٢	التفكّر في النفس والكون والحياة			بطول النظر في السماء مثلاً
٢٣	النوم المبكّر بعد العشاء			يحدّد له ساعة، العاشرة مثلاً
٢٤	إحياء الليل بقيام ساعة			آخر الليل وقت السّحر

المحاسبة الأسبوعية:

إذا كان الوقت يوم الجمعة، حاسب نفسه مدّة ساعتين على واجبات الأسبوع وهي: طلب العلم، ورعاية الأهل، وأداء النوافل، ودعوة الناس.

١ - طلب العلم:

يحاسب نفسه على التعلّم:

- ماذا تعلّم في هذا الأسبوع من علوم الدِّين: من القرآن، والحديث، والفقه، والسّيرة؟
- ماذا تعلّم من علوم العربية؟
- ماذا تعلّم من العلوم المعاصرة التي يدرسها؟
- ما مدى توفيقه واجتهاده في تخصّصه؟
- ماذا كسبَ من الثقافة العامة؟

ويحاسب نفسه على التعليم:

- ماذا قدّم في هذا الأسبوع من علمٍ نافع؟
- هل كان متقناً لأساليب التعليم الصحيحة؟
- هل راعى في دروسه ومحاضراته آداب المربي؟
- هل كان يريد من تعليمه سمعةً أو مكانة دنيوية أو دينية؟

ويحاسب نفسه على التأليف:

- ما الموضوع الذي كتبَ فيه خلال هذا الأسبوع؟
- ما الهدف من المقالات أو الموضوعات التي كتبها؟
- ماذا يرجو من كتابته وتأليفه؟

- كم المدة الزمنية التي استغرقتها كتابتُه؟

- كم عدد المقالات والموضوعات التي نشرها خلال الأسبوع؟

٢- رعاية الأهل:

يحاسب الزّوجُ نفسه على تربية أسرته:

- هل ربّاهم على كلمة التوحيد، وحبّ الله ﷻ، وحبّ رسوله ﷺ؟

- هل ربّاهم على إقامة شعائر الدين كالصَّلاة والصيام؟

- هل حضّهم على صلة الأرحام والأقارب والجيران؟

- هل تابعَ دروس أولاده وواجباتهم المدرسية والجامعية؟

- هل راعى حقوق زوجته؟

- كم أنفق من النقود على أهله وأولاده؟

- هل كان إنفاقُه قواماً بين الإسراف والتقتير؟

وتحاسب الزوجةُ نفسها على تدبير مَنْزلها:

- هل اعتنَتْ بنظافة مَنْزلها وترتيبه ونظامه؟

- هل أتقنتْ طهي الطعام، وغسل الملابس والأواني والفراش؟

- هل راعتْ حقوق زوجها؟

- هل حافظتْ على مال زوجها في مشهده ومغيبه؟

- هل كانتْ علاقتها حسنة مع أقاربها وجيرانها؟

- هل تابعت دروس أولادها وواجباتهم المدرسية والجامعية؟

- هل علّمت أطفالها قراءة القرآن، والحفاظ على الصَّلاة؟

- ماذا كانتْ تفعل في أوقات فراغها؟

- هل أشغلتْ أوقات فراغها بقـراءة القـرآن، والاسـتماع إليـه مـن المـذياع أو التلفاز؟

- ما الهوايات المباحة التي مارستها خلال الأسبوع؟

٣- أداء النوافل:

يحاسبُ نفسه على نوافل الصَّلاة:

- هل كان يصلي ركعتين كلما توضأ؟
- كم يوماً صلّى فيه الضُّحى خلال الأسبوع؟
- هل كان يحافظ على السُّنن الرّواتب وصلاة الوتر؟
- كم عدد الليالي التي أحياها بالقيام؟
- كم عدد الساعات التي قامها من كلّ ليلة؟
- ماذا كان يفعل في قيامه؟

ويحاسبُ نفسه على نوافل الصوم:

- هل صام يومي الاثنين والخميس من هذا الأسبوع؟
- هل صام أياماً أخرى غير الاثنين والخميس؟
- ما الذي منعه من الصيام (إنْ لم يصم)؟ وما عُذره؟

ويحاسب نفسه على نوافل الزَّكاة:

- هل تصدّقَ في هذا الأسبوع؟
- كم كان مقدار صدقته؟
- لِمَنْ أعطى الصّدقة؟
- ماذا كان يقصد من صدقته؟

٤ - دعوة الناس:

يحاسب نفسه على تذكير الناس بالله واليوم الآخر:

- ما الأيام التي ذكّر فيها الناس؟

- بمَ ذكّر الناس؟ هل ذكّرهم بالثبات على العقيدة الصحيحة، وإخلاص العبادة لله ﷻ، والاستعداد للموت، والعمل للآخرة؟

- هل وصّاهم باتباع الحقّ والتجمّل بالصبر؟

- هل بصّرهم بأحوال المسلمين في العالم، وما يعانون من فقر ومرض وتكالب الأعداء عليهم؟

ويحاسب نفسه على تبليغ الدَّعوة إلى العالم:

- ماذا عملَ لتبليغ رسالة الإسلام إلى الأمم والشعوب؟

- هل سافرَ بنية نشر الدّين والتبشير به؟

- هل بذلَ شيئاً من ماله في سبيل الله؟

- ما الوسائل التي استخدمها في نشر الدَّعوة؟

- هل ألّف كتباً، أو ترجم، أو ألقى محاضرات، أو شارك في مؤتمرات، أو دعا من خلال شبكة المعلومات (الإنترنت)؟

خلاصة المحاسبة الأسبوعية:

١ - طلب العلم:

أ. **التعلّم:** علوم الدّين، وعلوم العربية، والعلوم المعاصرة، والثقافة العامة.

ب. **التعليم والتأليف:** التمكّن من التخصّص، والأساليب التربوية، وموضوعات التأليف، وأهداف التأليف.

٢ - رعاية الأهل:

أ. **دور الزّوج:** تربية الأولاد على التوحيد، وإقامة الشعائر، والإنفاق عليهم، ومتابعة دروسهم، ومراعاة حقوق الزوجة.

ب.**دور الزوجة:** النظافة والترتيب، ومتابعة الأولاد، ورعاية حقوق الزوج.

٣- أداء النوافل:

أ. **نوافل الصّلاة:** سنة الوضوء، وصلاة الضحى، والسنن الرواتب والوتر، وقيام الليل.

ب. **نوافل الصوم والزّكاة:** صوم الاثنين والخميس، وصيام أيام أخرى، والصدقة.

٤ - دعوة الناس:

أ. **تذكير المسلمين:** تذكيرهم بالإخلاص في العبادة، والعمل للآخرة، والتواصي بالحقّ والصبر.

ب. **تبليغ العالم:** السفر لنشر الدين، وبذل المال في سبيل الله، واستخدام الوسائل الحديثة.

المحاسبة الشهرية:

إذا كان الوقت آخر الشهر، حاسب نفسه مدّة ثلاث ساعات محاسبة شاملة على هذه الواجبات الرئيسة التي يحاسب نفسه عليها كلّ يوم وكلّ أسبوع، وهي: العلم، والعمل، والعبادة، والدَّعوة.

وقد ذُكِرتْ فروعها، وفصّلت تفصيلاً بيّناً، وخلاصتها في الجدول التالي:

جدول المحاسبة الشهرية

الرقم	الواجب	الفرع الأول	الفرع الثاني
١	**العلم**	**١- الفكر والذكر:** أ. **التفكّر:** في الكون، والنفس، وأحوال الأمم، وأحوال الآخرة. ب. **الذكر:** قراءة القرآن، وملازمة الاستغفار والدُّعاء، وأذكار الصباح والمساء.	**٢- طلب العلم:** أ. **التعلّم:** علوم الدين، علوم العربية، العلوم المعاصرة، الثقافة العامة. ب. **التعليم والتأليف:** التمكّن من التخصّص، الأساليب التربوية، موضوعات التأليف وأهدافه.
٢	**العمل**	**١- الكسب الحلال:** أ. **العمل والتعامل:** القصد من العمل، درجة إتقانه، آدابه. ب. **المال المكتسب:** مصادر الاكتساب، مجالات الإنفاق، استثمار المال، ادّخار المال.	**٢- رعاية الأهل:** أ. **دور الزوج:** تربية الأولاد، إقامة الشعائر، الإنفاق عليهم، مراعاة حقوق الزوجة. ب. **دور الزوجة:** تدبير المنزل،

			رعاية حقوق الزوج، تربية الأولاد.
٣	**العبادة**	**١- أداء الفرائض:** أ. **الطهارة:** نظافة الجسم والثياب، إسباغ الوضوء، فقه أحكام الغسل والتيمم والحيض. ب. **إقام الصَّلاة:** الصَّلاة المكتوبة، كيفية أداء الصَّلاة، صلاة الجماعة.	**٢- أداء النوافل:** أ. **نوافل الصَّلاة:** سنة الوضوء، صلاة الضحى، الرواتب والوتر، قيام الليل. ب. **نوافل الصوم والزَّكاة:** صوم الاثنين والخميس، صيام أيام أخرى، الصدقة.
٤	**الدَّعوة**	**١- تزكية النفس:** أ. **استقامة اللسان:** تخليصه من آفات الكذب والغيبة والنميمة، والسخرية والجدال. ب. **استقامة القلب:** إخلاص النية، التوكل واليقين، والخوف والرجاء. ج. **استقامة الخلق والأدب:** الصبر والتحمّل، غضّ البصر، الذوق الرفيع.	**٢- دعوة الناس:** أ. **تذكير الناس:** تذكيرهم بالإخلاص في العبادة، والعمل للآخرة، والتواصي بالحقّ والصبر. ب. **تبليغ العالم:** السفر للدعوة، بذل المال في سبيل الله، استخدام الوسائل الحديثة.

المحاسبة السنوية:

إذا كان الوقت آخرَ السنة، حاسب نفسه مدّة يوم كامل محاسبة شـاملة طويلـة على هذه الموضوعات الأربعة التي سيُسأل عنها يوم القيامة وهي:

العمر، والعلم، والمال، والجسم، كما جاء في الحديث الشريف:

عَنْ أَبِى برزَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لا تزولُ قدما عبدٍ **حتى يسألَ عن أربع:** عن عُمرهِ فيمَ أفناه، وعن علمِه ما فعلَ فيه، وعن مالِه مِنْ أينَ اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَه، وعن جسمِه، فيمَ أبلاهُ". رواه الترمذي، (حديث صحيح، تحقيق الألباني).

١ - العمر:

سيُسأل عنه يوم القيامة: فيمَ أفناه؟ فيحاسب نفسه على:

- عدد السنوات التي عاشها:

عددها حتى لحظة هذه المحاسبة، وعـدد الشـهور فيهـا، وعـدد الأيـام، وعـدد الساعات، وعدد الدقائق.

- الطاعات التي فعلها:

يستعرض الطاعات التي قام بها، ومـا كانـت نيّتـه في كـلّ طاعـة، فيـذكر مـن طاعاته مثلاً: توحيد الله، والمحافظة على الصَّلاة، وأداء الزَّكاة، وصوم شهر رمضان، وحجّ البيـت، وأداء العمـرة، وحفـظ أجـزاء مـن القـرآن، وتعلـيم النـاس أحكـام التجويد، ورعاية الوالدين والإنفاق عليهما، وقيام الليل، وزيارة المرضى.

- **المعاصي التي ارتكبها:**

يستعرض الذنوب التي وقع فيها، والتقصير الذي بدر منه مثل: أكل الربا والتعامل مع البنوك الربوية، واغتياب الناس والخوض في أعراضهم، والتهاون في صلاة الفجر، وكثرة الحَلْف والأيمان، والتقصير في صلة الأرحام، وإدامة النظر إلى المحرمات والعورات، وحسد الناس على النعم، والعُجب والغرور، والإفراط في حُبّ المال والدُّنيا.

- **فترات الضعف والقوة:**

يستعرض ما مرّ به من فترات ضعف وقوة، ونشاط وكسل، وصحة ومرض، واجتهاد وغفلة، ويستذكر أسباب الاجتهاد، وأسباب الغفلة.

- **الحوادث والمصائب:**

يستعرض أهم الحوادث والمصائب التي تعرّض لها، وما كان موقفه منها، وكيف عالجها وتعامل معها من مثل: فقر شديد، أو غنى أصابه، أو ضياع مال ومتاع، أو موت عزيز عليه، أو حادث سَيْر وقع له أو لغيره، أو مرض أو إعاقة أصيب بها، أو فتنة وقعت في بلده، أو زلازل وبراكين وقعت في العالم، أو نكبات وحروب اجتاحت الأرض.

- **التجارب والخبرات:**

يستذكر أهم التجارب والخبرات والدروس التي تعلّمها، وأدّت إلى ثباته على دينه، أو زعزعة إيمانه من مثل: رحلاته وجولاته في الأقطار، تعرّضه لامرأة ذات منصب وجمال تدعوه إلى الزّنا، وقوله: إنّي أخاف الله، ومصاحبته لرجل غني أطغاه بماله، وعرض مالي كبير يقدّم له فيرفضه إبقاءً على دينه، وأذى لحقه بسبب الدَّعوة فصبر وتحمّل، وإشاعات كاذبة تعرّض لها، وجفوة الناس له، وتخلّيهم عنه لقلة ماله أو زوال جاهه.

- **استذكار الموتى:**

يستذكر مَنْ مات وتوفّاه الله ﷻ، ورحلَ عن الدُّنيا من أهله ووالديه وأولاده، وأحبابه وأصدقائه، وأقاربه وجيرانه، ومَنْ رحلَ من العلماء، ومَنْ رحلَ من الملوك والرؤساء، والأعلام والوزراء، وكيف أنَّ الدُّنيا لا تـدومُ علـى حـال، فلـو دامـتْ لغيرهم ما وصلتْ إليهم، وأنّه سيموت كما ماتوا، وسيرحلُ كما رحلوا، وسـتطلع الشمسُ ذات يوم، وهو تحت أطباق التراب، وقد كُتب اسمه وتـاريخ وفاتـه علـى قبره، كأنْ لم يغنَ بالأمس!

- **وضع مخطّط جديد:**

ثمّ يضع مخطّطاً جديداً لقضاء ما بقي من عُمره، ويحسبُ الزمن حساباً دقيقـاً، ويضع الجـداول التقويميـة للأيـام والشـهور، ويـدوّن مـا يريـد فعلـه عازمـاً علـى الاستمرار في معاهدة نفسه كلّ صباح، ومجاهدتها العمرَ كلّه، ومحاسبتها دائماً حتـى آخر أنفاسه!

٢- العلم:

سيُسأل عنه يوم القيامة: ما فعلَ به؟ فيحاسب نفسه على:

- **النية في العلم:**

هل تعلّم لله ﷻ، أم لغرض دنيوي؟ هـل يبغـي مـن علمـه مـالاً أو جاهـاً أو منصباً أو سمعة أو ذِكْراً؟ هل تعلّم وعلّم ليُشار إليـه بالبنـان، وليقـال: إنّـه دكتـور شهير، وأستاذ مرموق، وقارئ متقن، ومهندس كبير، وخبير بـارع، ورجـل أعمـال ثري؟

- **تعلّم القرآن وتعليمه:**

هل واظبَ على تلاوة القرآن حقّ التلاوة؟ هل حرصَ على تفسيره وبيان معانيه؟ هل تدبّرَ أحكامه وعملَ بها؟ هل حَفِظه وحمله في صدره؟ كم روايةً قرآنية أتقن؟ ماذا علّم الناس من علوم القرآن؟ كم أجاز طالبَ علم في أحكام التجويد؟

- **تعلّم السُّنّة وتعليمها:**

هل قرأ الحديث الشريف، واطّلع على كتبه الصَّحيحة؟ هل أتمّ قراءة صحيحي البخاري ومسلم؟ هل تعلّم فقه السُّنّة؟ هل درسَ السيرة النبوية؟ هل تمثّل السّيرة فكراً وعملاً؟ هل درسَ سيرة الصَّحابة والتابعين؟ ماذا علّم الناس من السّيرة النبويّة؟

- **تعلّم اللغة العربية:**

هل يجيد القراءة والكتابة بالعربية؟ هل تعلّمَ مبادئ النحو والصرف؛ ليصون لسانه وقلمه من الخطأ؟ هل درسَ بلاغة القرآن؟ هل اطّلعَ على أشعار العرب وروائع نثرهم؟ هل حرصَ على التحدّث بلغة فصيحة؟ ماذا قدّم للناس في ميدان اللغة والأدب؟

- **العلوم التي درسَها وتخصّص فيها:**

ما درجة تمكّنه من كلّ علم؟ وما الزَّمن الذي استغرقه في دراسته؟ وما مجالات انتفاع الناس من تخصّصه؟

- **الكتب التي اقتناها:**

كم عددها؟ وما مصادر الحصول عليها؟ وكيف انتفعَ الناس منها؟

- **مجالس العلم والأدب التي حضرها:**

ماذا أفاد من المحاضرات، والندوات، والمناظرات، والأمسيات الشِّعرية، والمؤتمرات العلمية في تثقيف نفسه، وتربية أولاده، وتعليم مجتمعه؟

- **العلماء والأساتذة الذين عرفهم:**

ما درجة ملازمته لهم؟ وماذا أفاد منهم؟ وهل دافعَ عنهم؟ أم خاضَ في أعراضهم، ونهشَ لحومهم، واحتقرَ إنتاجهم، وسخّفَ آراءهم؟

- **الاشتغال بالتأليف والتصنيف:**

كم عدد المصنفات التي كتبها؟ وما موضوعاتها؟ وكيف انتفعت الأمّة منها؟

- **الخطابة والتدريس:**

ما موضوعات الخطب التي يلقيها، والدروس التي يعلّمها للناس؟ ولماذا يعلّمها؟ وكيف يعلّمها؟

- **وسائل الإعلام (المرئية والمسموعة والمقروءة):**

ما دوره في إنتاج برامجها؟ ما موقفه ممّا يقرأ ويسمع ويشاهد؟ ما دوره في تصحيح مسارها، ونصيحة القائمين عليها؟

- **الاختراع والاكتشاف:**

ماذا ابتكرَ واخترعَ واكتشفَ؟ وما محاسن اختراعه؟ وما أضرار اختراعه؟ وماذا كان يرجو من وراء ذلك؟ أكان يريد وجه المال والسُّمعة؟ ماذا أفادت الأمة من اختراعه أو اكتشافه؟

٣- المال:

سيُسأل عنه يوم القيامة: من أينَ اكتسبه؟ وفيمَ أنفقه؟ فيحاسب نفسه على:

- إحصاء الأموال:

مجموع أمواله وثروته ورصيده، وعدد أملاكه وعقاراته ومشاريعه، ومحتويات بيته وأمتعته وأثاثه وأدواته.

- مصادر الكسب:

هل مالُه من حلال، أم من حرام، أم من شُبهة؟

هل حصلَ عليه من طرق مشروعة كالعمل، والبيع، والشراء، والإرث، والنفقة، والزَّكاة، والهدايا، والوصايا، ودفع الدّيات؟

أم حصلَ على ماله من طرق محرّمة كالرّبا، والقمار، والغش، والاحتكار، والسّرقة، والارتشاء، والاتجار بالمحرّمات والمخدّرات؟

- أوجه الإنفاق والبذل:

كيف كانت صفة إنفاقه لأمواله؟ بتقتير أم بإسراف أم باعتدال؟

فيمَ أنفق أمواله: في حاجة نفسه وأهله من مطعم، ومشرب، وملبس، ومأوى، ومركب؟

في وقاية العِرْض، وحفظ المروءة والكرامة، والاستعفاف به عن مسألة الناس؟

في سبيل الله: على الفقراء والمساكين وابن السبيل؟

في الاستعانة به على العبادة كالحجّ وطلب العلم والدَّعوة والجهاد؟

في إكرام المسلمين، واكتساب الأصدقاء بصرفه في الهدايا والضيافة والإعانة؟

في أعمال البر والخير كبناء المساجد، والمدارس، والمشافي، ودعم لجان الزَّكاة، وإنشاء المكتبات، وتعبيد الطرق؟

أم أنفقه في أعمال الشّر والفسق واللهو:

في لعب القمار، والنَّرْد، والوَرَق، وشراء اليانصيب؟
في شرب الدُّخان، ومعاقرة الخمر، وتعاطي المخدّرات؟
في حضور الحفلات الراقصة، والسّهرات الغنائية الماجنة؟
في الفنادق، والنوادي الليلية، ودور الدّعارة، والملاهي، والمقاهي؟
في اليخوت والقوارب البحرية والشواطئ؟
في التلذذ بأنواع الأطعمة والأشربة في المطاعم الفاخرة؟

- الصدقة:

كم بلغ مجموع ما تصدّقَ به في سبيل الله؟ لِمَنْ كان يعطي صدقاته؟ وكيف كان يعطيها، سرّاً أم جهراً؟ وهل كان يرجو سمعة دنيوية، أو يرنو إلى مكانة دينية في قلوب الناس؟ ماذا كان يرجو؟

- إيتاء الزَّكاة:

كم مرة وجبَ عليه إخراج الزَّكاة؟ هل أخرج زكاة أمواله في كلّ المرّات؟ هل أخرجَ زكاة أمواله هذه السنة؟ كم بلغَ مجموع زكاة أمواله؟

هل أدّى زكاة أمواله وفق أحكام الزَّكاة أداءً صحيحاً؟ لِمَنْ صرفَ زكاة أمواله؟ وكيف صرفها؟

- آفات المال وغوائله:

هل جرّه المال إلى معصية الله ذات يوم؟ متى كان ذلك؟ وكيف كان ذلك؟
هل جرّه المال إلى الانغماس في الشّهوات، والإغراق في البذخ والنعيم؟
هل جرّه المال إلى معاداة الناس وحَسدهم ومنافستهم؟

هل جرّه المال إلى تضييع الواجبات والأوقات؟

هل عقدَ العزم على تصحيح مساره المالي: باكتساب المال من حلال، وإنفاقه في حلال؟

٤- الجسم:

سيُسأل عنه يوم القيامة: فيمَ أبلاه؟ فيحاسب نفسه على:

- معرفة جسمه:

هل لديه معرفة كافية بتكوين جسمه، ووظائف أعضائه، وما فيه من العجائب والرَّوائع في الخَلْق والإنشاء والتقويم؟

- العناية بنظافة جسمه وسُنن الفطرة:

هل اعتنى بنظافة جسمه من حيث: قصّ الأظفار، ونتف الإبط، وإكرام الشعر، وقصّ الشَّارب، وإعفاء اللحية، وحلق العانة، والختان؟

- العناية بطهارة جسمه:

هل طهّرَ جسمه من حيث: تجنّب النجاسات والمستقذرات، والتنَزّه من البول، وإسباغ الوضوء، والاغتسال من الجنابة، وتطهير الفم بالسّواك، ومراعاة آداب قضاء الحاجة؟

- العناية بجمال جسمه:

هل اعتنى بجمال جسمه من حيث: ستر العورة، وتحسين الهيئة والثياب من غير إسراف ولا إسبال، وتطهير الثياب من النجاسة والأوساخ، وتجنّب لبس المحرّمات (كلبس الذهب والحرير على الرّجال)، وعدم التشبّه بلباس الكفار، واستعمال الطيب والعطور؟

- **تغذية جسمه:**

هل غذّى جسمه من حلال خالٍ من الحرام والشّبهات؟ هل غـذّاه بالأطعمـة والأشربة المباحة المفيدة؟

- **معالجة جسمه:**

هل حرصَ على وقاية جسمه من الأمراض؟ هل تداوى من الأمراض؟ هـل كان مواظباً على الرّياضة البدنيّة، واكتساب اللياقة الصّحية؟

- **تنظيم حاجات جسمه:**

هل نظّم حاجات جسمه من الغـذاء، والـدّواء، والنـوم، والرّاحـة، واليقظـة، والقيام، والصيام، وقضاء الشهوة، والتمتع بالحلال، والزينة المباحـة؟ وكيـف كـان ذلك؟

- **الجوارح والحواس:**

هل حفظَ العين من النظـر إلى المحـارم، وحفـظَ الأذن عـن سمـاع المنكـرات، وحفظَ الفم عن أكل الحرام، وحفظَ الأنف عن شمّ روائح المعاصـي، وحفـظَ اليـد من البطش والإيذاء، وحفظَ الرِّجل من السَّعي إلى الشّر، وحفظَ اللسان عـن قـول الباطل؟

- **شكر الله على نعمة الجسم:**

هل شكرَ الله ﷻ على نعمة جسمه، وما فيه من آلاء ظـاهرة وباطنـة، كنعمـة السَّمع، والبصر، والشّم، والحسّ، والذوق، والحركة، والقوام، والاعتدال؟

خلاصة المحاسبة السنوية:

إذا كان الوقت آخر السنة، حاسب نفسه مدّة يوم كامل على هذه الموضوعات الأربعة التي سيُسأل عنها يوم القيامة وهي: العمر، والعلم، والمال، والجسم.

١- العمر:

عدد السنوات التي عاشها، الطاعات التي فعلها، المعاصي التي ارتكبها، فترات الضعف والقوة، الحوادث والمصائب، التجارب والخبرات، استذكار الموتى، وضع مخطّط جديد.

٢- العلم:

النية في العلم، تعلّم القرآن وتعليمه، تعلّم السُّنة وتعليمها، تعلّم اللغة العربية، العلوم التي درسها وتخصّص فيها، الكتب التي اقتناها، مجالس العلم والأدب التي حضرها، العلماء والأساتذة الذين عرفهم، الاشتغال بالتأليف والتصنيف، الخطابة والتدريس، وسائل الإعلام، الاختراع والاكتشاف.

٣- المال:

إحصاء الأموال، مصادر الكسب، أوجه الإنفاق والبذل، الصّدقة، إيتاء الزّكاة، آفات المال وغوائله.

٤- الجسم:

معرفة الجسم، العناية بنظافته، العناية بطهارته، العناية بجماله، تغذيته، معالجته، تنظيم حاجاته، الجوارح والحواس، شكر الله ﷻ على نعمة الجسم.

الخطوة الثانية: الإثابة والمعاقبة

ذكرنا من قبل أنَّ خطوات المحاسبة ثلاث: الإحصاء والتدوين، والإثابة والمعاقبة، والمعاتبة والتوبيخ، وقد تحدّثنا عن الإحصاء والتدوين، وما تضمّن من محاسبة يومية، وأسبوعية، وشهرية، وسنوية.

وحديثنا الآن عن الإثابة والمعاقبة، أي مجازاة النفس على الخير خيراً، وعلى الشَّر عقوبة.

إثابة النفس:

إذا فرغَ المسلمُ من إحصاء أعماله، ومراجعة نفسه، والتفتيش عليها، وتبيّن له ما حصدَ في يومه، أو أسبوعه، أو شهره، أو سَنته، فقد وجب عليه أن يُعزّز جوانب الخير في نفسه، ويقوّي روافد الإصلاح في مَسْلكه، ويتدارك جوانب الشر، ويحطّم قنوات السُّوء، ولا يكون ذلك إلا بإثابة نفسه إذا رأى منها خيراً كثيراً، وعزيمة صادقة.

والهدف من الإثابة هو تشجيع النفس على المضي في هذا الخير المبارك، ودفعها إلى مزيد من العمل الصّالح، والجهد الناجح.

وتكون خطوات الإثابة على هذا النحو:

١- أنْ يحمد الله ﷻ، ويثني عليه، ويشكره شكراً جزيلاً على أنْ وفقه للعمل الطيب، وهداه إلى القول الحسن، والصّراط السّوي.

٢- أنْ يُشيع السّرور في النفس بهذه الأعمال الصالحة من غير عُجب أو اغترار.

٣- أنْ يعقد العزم على الاستزادة من هذه الخيرات والصالحات.

٤- أنْ يخصّ نفسه بأمر مباح حسب قيمة العمل ووزنه مثل:

- خصّها بثوب حَسَن ولباس لائق.

- خصّها بممارسة هواية معيّنة كالرّسم، والخطّ، والمطالعة.

- خصّها بأكلة شهية وجلسة هادئة مع الأهل والأولاد في رحاب الطبيعة.

- خصّها بممارسة رياضة محبّبة كالسّباحة، والكرة، والجري، والصّيد.

- خصّها بقراءة لون معيّن من القصص والطرائف وكتب السّير والأخبار.

- خصّها بزيارة أحد الأصحاب، والمكث عنده بعض الوقت.

- خصّها بحضور أمسية شعريّة.

- خصّها بالاستماع إلى التسجيلات والأناشيد الطيبة.

- خصّها برحلة لزيارة الآثار والمعالم السياحية في البلد.

- خصّها بالعمرة وزيارة المسجد النبويّ والمدينة المنورة.

٥- عدم إثابة النفس بأمر محرّم، أو أمر يدعو إلى المعصية، ويغري بالكسل والفتور.

فلا يُثيب نفسه باللباس المحرّم (على الرّجال) كالذهب والحرير.

ولا يُثيب نفسه بمشاهدة البرامج المنحرفة، أو سماع الأغاني والمعازف.

ولا يُثيب نفسه باللعب المحرم كالقمار والميسر والنرد والورق.

ولا يُثيب نفسه بحضور مجالس اللهو واللغو والفسق.

ولا يُثيب نفسه بمخالطة النساء ومحادثتهنّ والنظر إليهنّ.

ولا يُثيب نفسه بالشّبع والإسراف في ألوان الأطعمة والفاكهة.

ولا يُثيب نفسه بقراءة الكتب الرّخيصة، والصّحف العابثة.

معاقبة النفس:

إذا تبيّنَ للمسلم من خلال المحاسبة أنّه ارتكبَ معصية، أو قصّـر في طاعـة، أو عملَ عملاً سيئاً، فقد وجب عليه أنْ يُحيط نفسه بما يحفظ عليهـا السـلامة، ويَنْـزع عنها ثوب المعصية، فيعاقب هذه النفس بعقوبة مباحة تتناسب مع الذنب المرتكـب، والتقصير الحادث.

والهدف من المعاقبة هو زَجْر الـنفس عـن أفعالهـا الشـنيعة، وآثامهـا القبيحـة، وتدارك تقصيرها ومحاولة فَطْمها عن المعاصي.

وتكون المعاقبة على هذا النحو:

١- أنْ يُشيع في نفسه الحزن والتحسّر على الأفعال السيئة، والتقصير البيّن.

٢- أنْ يندم على معاصيه وأخطائه ندماً شديداً.

٣- أنْ يكثر من الاستغفار، ويبكي أو يتباكى على ذنوبه.

٤- أنْ يتوضأ، ويصلي ركعتي التوبة، ويدعو الله أنْ يغفر له.

٥- أنْ يعاقب نفسه بعقوبة مباحة مثل:

- أنْ يُعاقبَ نفسَه بتلاوة جزء من القرآن، أو تفسير جزء، أو حفظ جزء.
- أنْ يُعاقبَ نفسَه بقراءة عدد من الأحاديث، أو شرحها، أو حِفْظها.
- أنْ يُعاقبَ نفسَه بالتصدّق بشيء من ماله.
- أنْ يُعاقبَ نفسَه بصيام يوم، أو أيام معدودة.
- أنْ يُعاقبَ نفسَه بقيام ساعة أو أكثر من الليل.
- أنْ يُعاقبَ نفسَه بزيارة القبور نهاراً، والمكث عندها ساعة.
- أنْ يُعاقبَ نفسَه باعتزال الأسواق والمراكز التجارية مدة معينة.
- أنْ يُعاقبَ نفسَه بتقليل طعام الغداء والعشاء في يوم معين.

- أنْ يُعاقبَ نفسَه بمنعها من الرّحلات فترة معيّنة.

- أنْ يُعاقبَ نفسَه بحرمانها من الهوايات المباحة مدّة معينة.

٦- أن يلتزم بشروط معاقبة النفس وهي:

أ. أنْ تكون العقوبة من المباحات، فلا يعاقب نفسه بالمعاصي.

ب. أنْ تكون العقوبة على قدر المعصية المرتكبة.

ج. أنْ تكون العقوبة دافعة إلى جَبْر الكسر، وقضاء الفائت.

د. أنْ تكون العقوبة غير مثبّطة للهمة، ولا باعثة على اليأس.

هـ. أن لا تؤدي العقوبة إلى إهلاك البدن، أو إصابته بضرر بالغ.

أخطاء مُنكرة:

وقد وجدتُ من خلال مطالعة كتب تزكية النفس أنَّ بعض العابدين المجتهدين ارتكب أخطاء فظيعة في معاقبة أنفسهم، واشتطوا في تعـذيبها وإذلالهـا، وبـالغوا في محاصرتها والتضييق عليها، وهم بذلك يخالفون منهج الاعتـدال الـذي يقـوم عليـه دينُنا الحنيف، فلا يكلّف الله نفساً إلا وسعها، ولا يكلّف الله نفساً إلا ما آتاها، وإنّ لبدنِك عليك حقّاً، وإنّ لنفسِك عليك حقّاً.

ومن الأخطاء المنكرة التي كانت تُرتكب في معاقبة النفس:

- حرق عضو من أعضاء جسمه بالنار، كحرق إصبعه.

- الاغتسال من الجنابة في صحراء مكشوفة في يوم بارد.

- الامتناع عن الطعام والشراب مدّة طويلة إلى حدّ الهلاك.

- ضرب العين ولطمها حتى تسيل وتُصاب بالعمى.

- تعريض عضو من أعضاء جسمه للمطر أو الريح حتّى يتقطّع.

- حبس النفس مدّة طويلة عن الشّمس، وعزلها عن الناس.

- مواصلة الصيام أياماً كثيرة متتابعة.
- طول السَّهر المرهق، وقيام الليل المتواصل.
- دخول المقابر ليلاً، والمكث فيها مدة طويلة.
- اعتزال النساء مدّة طويلة، والإجحاف بحقوقهنّ.
- حَمْل الأثقال التي تفوق قدرته وطاقته، وتقصم ظهره.

الخطوة الثالثة: المعاتبة والتوبيخ

هذه الخطوة لازمة لإبقاء النفس في دائرة المسؤولية، وتحميلها تبعة ما ترتكب من جرائر، أو يصدر عنها من تهاون.

فإذا فرغَ المسلمُ من تقرير الإثابة اللازمة لحفز نفسه على النشاط الدائب، وتقرير المعاقبة الرادعة لِنَزوات نفسه وشهواتها، التفتَ إلى هذه النفس يعاتبها ويوبّخها، ويقرّر جهلها، ويعرّفها بتفريطها في جنب الله ﷻ.

فما يقولُ في معاتبتها وتوبيخها؟

يقول وقد وضع نصب عينه أنْ يحضّها على فِعْل الخيرات، وهَجْر المنكرات، يقولُ مردّداً هذه القِطَع الجميلة للإمام الغزالي (٥٠٥هـ):

- يا نفسُ، ويحكِ، أما تستحين، تزيّنين ظاهرَكِ للخَلْق، وتبارزين الله ﷻ في السّر بالعظائم، أفتستحين من الخَلْق، ولا تستحين من الخالق؟
- يا نفسُ، ويحكِ، ما لكِ إلا أيام معدودة، هي بضاعتُكِ، وقد ضيّعتِ أكثرها، فلو بكيتِ بقيةَ العمر على ما ضيّعتِ لكنتِ مُقصّرة، فكيف إذا ضيّعتِ البقية، وأصررتِ على عادتك؟
- يا نفسُ، ويحكِ، ما لكِ تُسوّفين العمل، والموتُ لكِ بالمرصاد، ولعلّه يختطفكِ من غير مهلة، ولعلّ هذا اليوم آخرُ عمرك، فَلِمَ لا تُعدّين للرحيل؟
- يا نفسُ، ويحكِ، أما تعلمين أنَّ الموتَ موعدُك، والقبرَ بيتُك، والترابَ فراشُك، والدّودَ أنيسُك، والفزعَ الأكبر بين يديك؟

- يا نفسُ، ويحكِ، ما لكِ لا تستعدين للموت، وهو قريبٌ منكِ، وأنتِ لا تعلمين، أتصيرين إلى الجنة أم إلى النار؟ فكيف يلهو مَنْ لا يدري إلى أين يصير؟

- يا نفسُ، ويحكِ، ما أجهلَكِ، وما أجرأكِ على المعاصي، إنّكِ تدّعين الذّكاء والفطنة، وأنتِ أشدّ الناس غباوةً وحمقاً، وآيةُ ذلك أنّك تفرحين كلَّ يوم بزيادة مالكِ، ولا تحزنين بنقصان عُمرِك، وما نفعَ مالٌ يزيد، وعُمر ينقص؟

- يا نفسُ، ويحكِ، ألكِ طاقةٌ على عذاب النار، وأنتِ لا تستطعين القعود ساعةً في الماء السَّاخن، ولا تستطعين الوقوف ساعة في الحرّ الشديد، ولا تصبرين على تقريب أصبعك دقيقة من اللهب المشتعل؟

- يا نفسُ، ويحكِ، ما أراكِ إلا ألِفْتِ الدُّنيا، وأنستِ بها، فشقَّ عليكِ مفارقتُها، وأنت مقبلة على وداعها والرحيل عنها، أما تعلمين أنَّ الدُّنيا كالماء المالح، كلما شربتِ منه ازددتِ عطشاً؟

- يا نفسُ، ويحكِ، كأنّكِ لا تُؤمنين بيوم الحساب، وتظنين أنّك إذا متِ تخلّصتِ وسلمتِ، فهيهات أتحسبين أنْ تتركي سُدى؟ ألم تكوني نطفةً من منيّ يُمنى؟ ثمّ كنتِ علقةً فخلق فسوّى، أليس ذلك بقادرِ على أن يحيى الموتى؟ بلى يا نفس، بلى!

- يا نفسُ، ويحكِ، لا تضيّعي أوقاتكِ، فالأنفاسُ معدودة، فإذا مضى بعضُها مضى بعضُكِ، فاغتنمي الصّحةَ قبل السّقم، والفراغَ قبل الشغل، والغنى قبل الفقر، والشبابَ قبل الهرم، والحياةَ قبل الممات، واستعدي للآخرة على قدر بقائكِ فيها.

- يا نفسُ، ويحكِ، بادري بالأعمال الصَّالحة، فقد أشرفتِ على الهلاك، واقترب أجلُك، ووردَ النذير، فمَنْ ذا يصلّي عنكِ بعد موتك؟ ومَنْ ذا

يصوم عنكِ؟ ومَنْ ذا يحجّ عنك؟ ومَنْ ذا يجاهد عنكِ؟ ومَنْ ذا يترضّى ربَّكِ عنكِ؟

- يا نفسُ، ويحكِ، اعلمي أنّه ليس للدِّين عِوَض، ولا للإيمان بَدَل، ولا للجسد خَلَف، ومَنْ كانت مطيته الليل والنهار فإنّه يُسارُ به وإنْ لم يَسر!
- يا نفسُ، ويحكِ، لا تكوني حماراً لإبليس يقودُكِ حيث يريد، ويسخرُ منكِ، ويتلاعبُ بكِ، واعلمي أنّه لا يقودُك، ولا يقدرُ عليكِ إلا بكثرة ذنوبكِ ومعاصيكِ!
- يا نفسُ، ويحكِ، إنْ بقيَ فيكِ موضعٌ للرجاء فواظبي على التضرّع والبكاء، واستعيني بأرحم الراحمين، وفِرّي إليه، فإنّه ﷻ يفرحُ بتوبتكِ وإنابتك.

مُعاتبة مرّة:

هذه المعاتبة المرّة تغسلُ قلب العبد مما علقَ به من شوائب، وتنقذُ النفس مما جرفَها من شواغل، وتُظهر حاجةَ العبد إلى ربّه جلَّ ثناؤه، وتكشف عن ضعفه.

فما أجدرَ نفسي بهذه المعاتبة المرّة، وما أجدرَ نفوس الأساتذة وطلبة العلم ورجال الأعمال وأهل الصناعة بهذه المعاتبة التي تلذعُ النفس بسياط اللوم والتقريع، وتطوّقها بسياج المساءلة، وتوقظ الجسم من مُستنقع الشّهوة.

حصاد المحاسبة

ما الغاية المرجوّة من المحاسبة؟

إذا فرغَ العبدُ من محاسبة نفسه فقد وجبَ عليـه أنْ يعلـن التوبـة لله ﷻ توبـةً نصوحاً؛ ليتدارك بها ما فرّط، ويكفّر عن ذنوبه ومعاصـيه، وينـال مرضـاة الله ﷻ، ويحظى بالدّرجات العلى.

والتوبة هـي حصـاد المحاسـبة، ولا قيمـة للمحاسـبة، ولا جـدوى إذا لم تكـن نتيجتها النهائية هي التوبة؛ إذ هي واجبة على الدّوام؛ لأنَّ العبد لا يخلو مـن ذنـبٍ يرتكبه، أو نقص يعتريه.

معنى التوبة النصوح:

التوبـة النصـوح: أنْ يعترف العبد بمعاصيه، ويعلـن الـبراءة منهـا، ويشـرع في تخليص نفسه من الآثام والخطايا، فيتوب توبةً صادقة خالصة مـن كـلّ ذنـب مهمـا صَغُر أو كَبُر، ويبـادر في أسـرع وقـت إلى الـدخول في الطاعـة، واسـتئناف العمـل الصـــــالح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

عَنْ أَبِى مُوسَى الأشعريّ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَـدَهُ بِاللَّيْلِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْـلِ حَتَّـى تَطْلُـعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا». (رواه مسلم)

شروط التوبة:

وشروط التوبة النصوح أربعة:

١- الإقلاع عن المعصية فوراً إقلاعاً كاملاً، لا رجعةَ فيه.

٢- الندم الشديد على فعلها، ندمَ حياء من الله، وتقريع للنفس.

٣- العزم على عدم العودة إليها أبداً ما دام حيّاً.

٤- ردّ حقوق العباد إليهم، بالأداء، أو طلب العفو والمسامحة، وردّ المظالم، والوفاء بالعهود.

والتوبة تجب على العبد في كلّ وقت وآن، وحيث حلّ وكان:

تجب عليه بعد فعل المعصية وارتكاب الخطيئة، ودُبر كلّ صلاة، وبعد كلّ طاعة، وتجب عليه إذا انتهى من عمله، وإذا آوى إلى فراشه، وإذا نهضَ منه.

علامات التوبة:

كيف يعرفُ العبدُ أنّه تابَ من ذنبه؟

١- إذا ذكرَ الله تعالى، ولازمَ الاستغفار بعد فعل الفاحشة أو ظلم النفس: قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

٢- إذا أزالَ أسباب المعصية، وتخلّصَ من آثارها، ولم يصرّ عليها:

فمثلاً إذا اقترف معصية شرب الخمر حطّمَ كؤوسها، وهجرَ حاناتها، وفارقَ ندماءها.

وإذا أكلَ الرّبا طهّرَ جسده منه، وامتنعَ عن أخذه، وأوقفَ التعامل مع المرابين.

وإذا شهدَ الزُّور فطمَ لسانه عن الكذب والافتراء، وأعادَ الحقّ إلى أصحابه.

٣- إذا بكى من خشية الله، وخلا بنفسه يعاتبها ويقرّعها، ويذكّرها بعظمة الله وقدرته، ويذكّرها بسكرات الموت، ونَزْع الرُّوح، ومفارقة الأحبة، ويذكّرها

بالقبر وظلمته وضيقه ووحشته، وسؤال المَلَكين. قال تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴾ [الإسراء: ١٠٩].

٤- إذا قام بإجراء عمليّ في تصحيح سلوكه، وزيادة طاعاته:

فإذا كان يغتابُ الناس امتنعَ عن الغيبة، وأكثرَ من الصَّمت.

وإذا كان تاركاً لصلاة الجماعة ارتادَ المسجد، وحافظَ عليها.

وإذا كان لا يتصدّق سارعَ إلى البذل والإنفاق.

وإذا كان ينظرُ إلى المحارم كفَّ بصره.

وإذا كان متساهلاً في عمله اجتهدَ فيه حتى يتقنه.

وليحذرْ من غضب الله وعذابه إنْ هو ظلَّ سادراً في غفلته وغيّه، فإنَّ الدُّنيا على سعتها ستضيقُ عليه، وتصيرُ كثقب الإبرة، وليحذرْ النار الكبرى التي وقودها الناس والحجارة:

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً مَنْ لَهُ نَعْلاَنِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَداً أَشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً، وَإِنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً». (رواه مسلم)

فالتوبة التوبة، والاجتهاد الاجتهاد، "وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ".

الخاتمة

تلك الصَّفحات الماضية كانتْ سنابِلَ خُضر في حَقْل محاسبة النفس، وقد حانَ للقارئ الكريم أنْ يقطفَ جناها، وآنَ له أنْ يستخلصَ ما فيها من الحَبّ اليانع، ولزمَه أنْ يتمثّلَ ما اشتملتْ عليه من تزكيةٍ وجمالٍ وإخبات؛ ليحيا حياةً طيبة في الدُّنيا والآخرة.

فالحياةُ في ظلال الإيمان هي أحلى حياة، وأسعدُ حياة، ولَنْ نحياها إلا إذا تغلغلَ وهجُ البصيرة في شغاف قلوبنا، وانسكبَ ماءُ الفضيلة في نفوسنا، فطهّرَها وعطّرَها وغلّفَها بِغِلَالة بيضاء قد قُطعتْ من بُرْد الحكمة حكمةِ التعامل مع النفس.

وكيف يؤمّل العبدُ أنْ يحيا الحياةَ الطيبة إذا كانتْ نفسُه تخبطُ خَبْطَ عشواء، وتخوضُ مع الخائضين، وتطلقُ العِنانَ لهواها، فتركبه، ويركبها، فيهيمُ بها في أودية الدَّنس، فلا تصحو إلا وهي في حفرةٍ مُظلمة قد فارقَها الهوى، وتخلّى عنها الأحبة، فتندم ولاتَ حين مندم!

وكيف يؤمّل العبدُ أنْ يسدّ جوعه الرُّوحيّ، وقلبُه مُغلّف بالرَّان، قد خُتِمَ بشمع المعاصي والآثام، وعنده الماء العَذْب، والطعام الشَّهي لو كان يَعْقِل:

كالعيسِ في البيداءِ يقتلُها الظمأ والماءُ فوقَ ظهورها محمولُ!

لا خلاصَ إذن من الرّان والهوان إلا بإصلاح النفس، وتربيتها على الكتاب والسّنة:

ويومَ تصلحُ النفس ينعمُ صاحبُها في رحاب الله ﷻ، ويقضي العمرَ كلّه بهناءة ومسرّة.

ويومَ تصلحُ النفس تصبحُ مدرسةً في الأخلاق الحميدة تُشدّ إليها الرِّحال.

ويومَ تصلحُ النفس يغدو المجتمع آمناً من شرّها وأذاها وبوائقها.

ويومَ تصلحُ النفس تصلحُ الأمـةُ بصـلاحِها، ويمكّـن الله ﷻ لهـا في الأرض، وتعودُ سيرتَها الأولى كما كانت "خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ".

هذا؛ وما أحلى قولَ القائل: مَنْ ذاقَ عَرف، ومَنْ عرفَ اغترف.

أسأل الله العظيم أنْ يؤتيَ نفوسنا تقواها، وأنْ يُزكّيَها إنّه خير من زكّاها، وأنْ يثبّتَنا على الإيمان، وأنْ يتوفانا علـى الإسـلام، وأنْ يحشـرَنا مـع وَفْـد الـرّحمن غُـرّاً مُحَجَّلين، وأنْ يدخلَنا جنّاتِ النعيم، إنّه سميعٌ مجيبُ الدُّعاء.

والحمد لله ربّ العالمين.

مصادر ومراجع

(في الرّقائق وأدب النفس)

- إحياء علوم الدِّين، أبو حامد الغزالي.
- أسباب المغفرة، ابن رَجَب الحنبليّ.
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبيّ.
- تربيتنا الرُّوحية، سعيد حوّى.
- تزكية النفوس وتربيتها، جمع: أحمد فريد، تحقيق: ماجد بن أبي الليل.
- جدّد حياتك، محمد الغزالي.
- حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني.
- خُلق المسلم، محمد الغزالي.
- الرِّعاية لحقوق الله، المحاسبي.
- الرَّقائق، محمد أحمد الراشد.
- روحانية الدَّاعية، عبد الله علوان.
- زاد على الطريق، مصطفى مشهور.
- شفاء القلوب، عبد الحميد كشك.
- صفة الصَّفوة، ابن الجوزي.
- صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، عبد الفتاح أبو غدّة.
- صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: علي الطنطاوي.
- كتاب الزُّهد، أحمد بن حنبل.
- محاسبة النفس، ابن أبي الدنيا، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم.
- مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي.

- مداواة النفوس، ابن حزم الأندلسي.
- المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوّى.
- الوقت في حياة المسلم، يوسف القرضاوي.
- اليوم الآخر في ظلال القرآن، جمع وإعداد: أحمد فائز.

الفهرس

هذا الكتاب

يأتي هذا الكتاب على شوقٍ وحاجة؛ ليسدَّ فراغاً وثغرات، بعدَ أنْ قسَت القلوب، واختفَت المجاهدات، أو كادت!

فهذا الكتاب واحةُ أمنٍ وأمان، نتنفّسُ فيها الهواءَ النقي، ونعاودُ فيها الحنينَ إلى المنازل، ونبكي على ما فات.

وهذا الكتاب سِفْرٌ فيه إسفارٌ عن حقيقة الإنسان ووظيفته، وكيفية معالجة انحراف نفسه، وذلك بأسلوب سَهْل، وعرض مُشوّق.

وهذا الكتاب بنماذجِهِ الإيمانية الثَّرة حديقةٌ مُزدانة، فينانةٌ ريّانة، فوّاحة ريحانة، وبكلمات القوم: مُرصّع مُزيّن كَعِقْدٍ حبّاتُه لا أغلى ولا أجمل!

وهذا الكتاب يشتملُ على العلم الحقيقيّ الذي ينفعُ كلَّ إنسان، فهو ينفع الطلبة في المدارس والجامعات، وينفع التاجر، والسّائق، والوزير، والحاكم، ويلزم لكلّ مكتبة ومَرْكز علم.